المدينة المنورة فى أدب الرحلات
الرحلة الحجازية لـ"أوليا جلبي" أنموذجاً

بقلم
أ.د/ على عبد الوهاب مطاوع
أستاذ الأدب والنقد المساعد
بجامعة الأزهر

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (١)

صدق الله العظيم

(١) سورة الإسراء : آية (٨)٠

إليك يا سيدي ..

يا رسول الله حباً وعشقاً وهياماً

في زمن نحتاج فيه إلى هديك !!

المدينة المنورة في أدب الرحلات
الرحلة الحجازية لـ"أوليا جلبي" (أنموذجاً)

بقلم
أ.د/ على عبدالوهاب مطاوع
أستاذ الأدب والنقد المساعد
جامعة الأزهر

- **مفتتح ....**

إن من يتأمل ــ بقليل من التمعن ــ المشهد الثقافي المدني خلال عقود مضت، يكتشف أن ثمة أسماء بارزة في مجال اللغة والأدب والتاريخ والفكر قد لاذت بهذه الأرض الطيبة المباركة التي اختارها الخالق لتكون مهاجراً، وموئلاً لحبيبه وصفوة خلقه ﷺ مهرولة نحو السكينة، والطمأنينة في كنف روضتها النبوية المشرفة، منجذبة في صفاء روحي وفكري نحو نورها الأبدي، آثرت العزلة بعيداً عن ضجيج الحياة وصخبها،وهمومها وصراعها المادي، تاركة للأجيال عبر العصور بصمة واضحة ودالاً خالداً في المشهد النبوي الثقافي سوف يظل شاهدا على تحولهم الإيماني، وتجسيدهم الجلي لحب وقر في النفس، توسلوا به كثيراً للخالق سبحانه وتعالي كما فعل حبيبهم ﷺ من قبل في تضرعه إلي ربه من قوله: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد.."[(١)].

فتغلغل هذا الحب في قلوبهم فكان هذا التحول نحو النور الذي نعايشه مع هذا الدال / السرد الأدبي في رحلة الرحالة التركي "أوليا جلبي" علنا نصل إلى درجات هذا الحب، أو نقترب من فيوضات هذا النور العلوي.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ١١٩/٤ ط أولي – دار الريان للتراث ــ القاهرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، وصحيح مسلم : ٦٣/٧ ط دار البيان العربي ــ القاهرة ١٣٨٣م.

- **مدخل ....**

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم رسله سيد العرب والعجم ، أفصح من نطق بالضاد، وأوتي جوامع الكلم، القائل:"اللهم حبب إلينا المدينة ..." (١)، وعلى آله وصحابته الذين آووه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وبعد،،،

فهذه سياحة إيمانية عبر " خطاب وصفي متميز بمواصفاته وخصائصه الذاتية المستقلة، وبعلاقاته التي يقيمها مع غيره من الخطابات التي تشترك معه في العديد من الرؤى والسمات(٢)"، سوف يظل مصدراً كبيراً من مصادر علمي التاريخ الإنساني وجغرافية المكان، لاسيما من النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية. وحسبه أنه أول من أجلي أسرار الأمم وأحوالها، وكشف عن الكثير من آثارها ومخبآتها ..

إنه خطاب"الرحلة" الذي نحاول في الصفحات التالية استجلاء معالمه تطبيقا على الرحلة الحجازية للرحالة التركي المسلم"أوليا جلبي" خاصة رحلته إلي "طيبة.. المدينة المنورة" موضوع البحث. أملاً في تجديد وعينا بدال " الرحلة" في أدبنا العربي، ومن ثم معانقة أهم قضايانا القديمة / المعاصرة .. قضية الوجود الإسلامي والتآمر على أجل رموزنا الإسلامية الخالدة .. رسول اللهﷺ.

ولا شك أن مثل هذه الكتابات المنتمية إلي هذا الجنس الأدبي- أدب الرحلات – تمثل في هذا الباب ــ مقاربة لهذه الوحدة الشعورية

---

(١) فتح الباري: ٩١١/٤، وصحيح مسلم: ٦٣/٧.

(٢) خطاب الرحلة العربي ومكوناته البنيوية د/ سعيد يقطين. علامات في النقد الأدبي: الجزء التاسع- المجلد الثالث – عدد: ربيع الآخر ١٤١٤هـ سبتمبر ١٩٩٣م صـ١٦٣ النادي الأدبي الثقافي بجده.

التي تجمع بين صفوة المحبين لكل ما كتب و'سطر في طيبة.. المكان والزمان والإيمان.. في حرمها، وروضتها، وآثارها، ومعالمها الخالدة، وقلاعها،ومساجدها، ومن قبل ومن بعد ما كتب في ساكنها ﷺ وأهلها أصحاب الوجوه النيرة.. بل سوف تمثل مثل هذه الكتابات التي تكتب في حق المحبوبة طيبة ــ ترجمة حقيقية لتواصل الأجيال المسلمة عبر العصور والأزمنة والتقاء أفكارها ورؤاها الأدبية والإبداعية والتفافها حول جنس أدبي متميز يقدر له أن يشارك بدرجة كبيرة في إثراء المشهد النبوي الثقافي في المعاصرة، ويضيف جديداً إلي تراثنا في أدب الرحلات الإسلامي.

ولا عجب في اهتمام الباحثين ــ من أبناء الإسلام خاصة ــ بهذا الجنس الأدبي، واحتفائهم بالمجتمع المدني، وانغماسهم في فيوضاته النورانية وعوالمهم المشرقة المتلألئة.. لا عجب في ذلك الاهتمام وهم أهل وأصل لهذا الجنس الأدبي الرفيع "أدب الرحلات" الذي توهج باتفاق الكثيرين بعد هجرة المصطفي ﷺ إلي طيبة الخير والنور والبركة والفتح المبين. وبدء مرحلة جديدة في حياة هذا الكون مع نور الإسلام وحضارته الزاهية، وفتوحاته الممتدة في ربوع المعمورة، ورجالاته المصلحين الذين فتحوا قلوبهم وعقولهم لكثير من الأرض العربية وغير العربية قبل أن يفتحوها بسماحة الإسلام، وهدي نبيهم رسول الإنسانية محمد ﷺ.

ولقد قرأنا للمسعودي : أن عمر بن الخطاب ﷺ حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الأرض- كتب إلي أحد حكماء عصره يقول: "إنا أناس عرب، وقد فتح الله علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض، ونسكن البلاد والأمصار، فصنف لي المدن وأهويتها ومساكنها، وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها" فكتب إليه ذلك الحكيم "إعلم يا أمير المؤمنين

أن الله تعالى قد قسم الأرض أقساماً" شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهي في التشريق فهو مكروه لاحتراقه ونناريته وحدته وإحراقه لمن دخل فيه، وما تناهي مغرباً أيضاً أضر سكانه لموازاته ما أوغل في التشريق، وهكذا ما تناهي في الشمال أضر ببرده وقره وثلوجه وآفاته الأجسام فأورثها الآلام، وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريته ما اتصل به من الحيوان، ولذلك صار المسكون من الأرض جزءاً يسيراً: ناسب الاعتدال، واخذ بحظه من حسن القسمة[1].

وكان من الطبيعي أن يدرس هؤلاء الرجال الصناديد من أبطال الإسلام الفاتحين طبيعة هذه الأرض التي أراد الله لها أن تنعم بشمس الإسلام وفتحه، وأن يقفوا على عادات وثقافات وأعراف شعوبها، وأبرز ما تميزت به من آثار وعلوم وحضارات فتحت بعد ذلك آفاقاً معرفية، وأوجدت رؤى جديدة للعربي، وأعطته قوة في مجتمعه الجديد مما يؤكد أن الرحلة، والرحالة، وأدب الرحلات، وكل ما يتعلق بهذا الجنس الأدبي قد انطلق حقيقة من أرض العرب- وإن ظهر عند أمم أخرى قديمة، ولكن ليس بهذه الصورة الأدبية العلمية التي ظهرت على يد الرحالة العرب إبان الفتوحات الإسلامية كما سنرى فيما بعد – خاصة وهم الذين دأبوا على التنقل والترحال في حياتهم الخاصة في جزيرتهم، وفي حياتهم العامة قبل وبعد الإسلام.. حدث ذلك وظهر جليا حينما تفاعلوا مع الآخر، وانفتحوا عليه تجاريا وثقافيا وحضاريا، ومن قبل ومن بعد عقديا من بلاد الفرس والروم،

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن المسعودي صـ٣٤ ط المطبعة البهية المصرية ١٩٦٤م نقلاً عن : أدب الرحلات: د/حسين محمد فهيم صـ١٩١ ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت شوال ١٤٠٩هـ يونيو ١٩٨٩م سلسلة عالم المعرفة رقم (١٣٨) ٠

والهند، والصين، والقوقاز، والتركستان، وبلاد الحبش، ومصر، وغيرها ممن أنعم الله عليها بالإسلام وهديه. وهو ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (١) وحث عليه في مواضع أخرى منها قوله تعالي: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا.. ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا.. ﴾ (٣) لا سيما وقد مد الله الأرض وخفضها، وبسطها للأنام كما نص الكتاب الخالد من قول الله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا.. ﴾ (٤) ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (٥).

ولا شك أن انفتاح المسلمين على هذه البلاد بطبيعتها، وجغرافيتها المختلفة لطبيعة بلاد العرب، وثقافتها وحضارتها وأعرافها المتباينة لفكر العربي ورؤاه وإبداعه.. جعله ينفتح على هذه الرؤى وتلك المشاهد الجديدة على عقله ومخيلته. راصداً، ناقلاً، مسجلاً، مدوناً، وراوياً، ليظهر في الأفق العربي هذا الجنس الأدبي الذي عرف بـ "أدب الرحلات" ويشتد أوار المنافسة بين الرحالة على اختلاف مشاربهم ورحلاتهم في أصقاع المعمورة، وتنوع وصفهم وسردهم الذي خلق نتاجاً حضارياً مميزاً – ساهم بجزء كبير في تراثنا الأدبي لأسماء لها مكانتها وريادتها في سماوات هذا الفن الأدبي، ممن نقلوا حضارات وثقافات، ولطائف أخبار، ومشاهد آثار وعتها ذاكرتهم في أسفارهم وترحالهم في أرض الله مما يعد اليوم من مفاخر تراثنا الإنساني.

(١) سورة قريش: الآيتان (١ ، ٢).
(٢) سورة الأنعام: من الآية (١١).
(٣) سورة العنكبوت : من الآية (٢٠).
(٤) سورة الحجر من الآية (١٩) وسورة ق من الآية (٧).
(٥) سورة الرحمن: آية (١٠).

ونذكر من هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر: أمير الرحالة المسلمين الذي لقب "بأعظم الرحالة المسلمين على الإطلاق"[1].. أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، الشهر بابن بطوطة. ذلكم الرجل الذي تجشم الأسفار الشاقة في الزمن الذي ضاقت وسائل الانتقال معه، وأمضه من العيش سوء حال فكان عليه أن يتحين الفرص السانحة في تسياره وهو الرحالة الواسع الإدراك الراغب في اقتحام الجدة واكتناه المغلق، يقوده عقله إلي المتباعد من الأقاليم، والمتباين من الشعوب، فيصل إلي بلاد الهند واسبانيا والصين والسودان وبلاد الحرمين ليعود بالإعجاب، يصوره بطرافة ويرويه بدقة وتفكه[2] مما أودعه سفره العظيم "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

---

(١) أرى أن الدكتور حسين محمد فهيم قد استند في إقرار هذا الحكم على ما نالته الرحلة من اهتمام كبير من الباحثين العرب والغربيين على حد سواء. حيث ترجمت الرحلة إلي عدة لغات. ولعلنا نذكر أن من بين الأعمال الهامة التي تناولت رحلة أبن بطوطة بالتحقيق دراسة المستشرقين الفرنسيين: (ديفريمري وسانغتينى) في أواخر القرن التاسع عشر، وكذلك دراسة المستشرق الفرنسي بلاتش ترابييه. أما عن الاعمال العربية فقد اتت في مرحلة تاريخية لاحقة لأعمال المستشرقيين. نذكر على وجه الخصوص دراستي:

- ابن بطوطة ورحلاته: تحقيق ودراسة وتحليل: د/ حسين مؤنس ط دار المعارف ١٩٨٠م.
- ابن بطوطة ورحلته: شاكر خصياك ط مطبعة الآداب – النجف الأشرف ١٩٧١م.

وللمزيد يراجع هنا: أدب الرحلات : د/ حيدر محمد فهيم من صـ٢٧ ــ صـ٤٥.

(٢) أدب الرحلة تاريخه وأعلامه: جورج غريب صـ٦٤، ٦٥ بتصرف ط٣ دار الثقافة ــ بيروت لبنان ١٩٩٧م.

وهذه التحفة هي حصاد تاريخي لرحلات عديدة بدأها يوم الخميس الثاني من رجب عام ٧٢٥هـ (١٣٢٤م) من طنجة قاصداً بيت الله الحرام فانتهي به الأمر إلي ترحال وراء آخر، وسفر إثر سفر، ورحلة تعقبها رحلة أخرى، وإقامة هنا وهناك في ربوع بلاد امتدت من المحيط الأطلسي غرباً إلي بحر الصين شرقاً. لتستغرق رحلاته في مجموعها ما يقرب من تسعة وعشرين عاماً، عاد بعدها ليملى مشاهداته ورواياته على محمد بن جزى الكلبى بتكليف من السلطان أبي عفان المريني، حاكم المغرب حينذاك[١] .

ويأتي على هذا الطريق وذلك لهدى الرحالة العلامة "ابن جبير" الذي فتن بالحجاز وأهله، وتعلق بالروضة المباركة وساكنها ﷺ فكتب لعشاق الرحلة " رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك "المعروفة بـ"رحلة ابن جبير" وقد كتب ــ عن الروضة الشريفة ــ فيها يقول:

"وحينما كان وداعنا للروضة المباركة والتربة المقدسة، فياله وداعاً عجيباً ذهلت له النفوس ارتياعاً حتى طارت شعاعاً واستشرت به النفوس التياعاً حتى ذابت انصداعاً! وما ظنك بموقف يناجي بالتوديع فيه سيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ﷺ ؟

إنه لموقف تنفطر له الأفئدة، وتطيش به الألباب الثابتة المتئدة، فوا أسفاه وأسفاه! كل يبوح لديه بأشواقه، ولا يجد بدا من فراقه، فما يستطيع إلى الصبر سبيلاً، ولا تسمع في هول ذلك" المقام إلا رنة وعويلا، وكل بلسان الحال ينشد:

(١) أدب الرحلات: د/ حسين محمد فهيم صـ٢٧ بتصرف.

(محـــبتي تقتضـــي مقـــامي .:. وحـــالتي تقتضـــي الـــرحيلاً[1])

وهذا الرحيل الذي ظهرت عليه حالة (أبي الحسن بن أحمد بـــن جبير) رأيناه عند كثير من الحالة المسلمين أمثال الرحالـــة العلامـــة الإدريسي (أبوعبدالله بن عبدالله بن إدريس)، وكذلك الرحالة المســـلم (ابن فضلان) الذي قدم لنا في رسالته ثقافة وحضارة وعادات أهـــل روسيا، وكذلك الصقالبة مؤكداً أن " السفر كما يقول الإمـــام الشـــيخ حسن العطار:ـــ مرآة الأعاجيب وقسطاس التجاريب"[2] وكثيـــر مـــن الرحالة العرب من الذين أصلوا لها الفن الأدبي، وصبغوه بالصـــبغة الإسلامية، لاسيما بعد أن فرض الله "الحج" على عبـــاده المـــؤمنين. وباتساع رقعة الإسلام وارتفاع مآذنه، ورفرفة راياته فوق البســـيطة انفتحت الأمم على بعضها بعضاً – عرباً وعجماً، بيضـــاً وســـوداً – وتعددت القوافل، وتنوعت المطالب، وتبدلت المشارب. فهذا حجـــازي يقصد تركستان للدعوة والتجارة، وذلك بغدادي يولى وجهـــه شـــطر البيت الحرام، وثالث حلبي يقصد القاهرة، وهذا أردى يشـــد الرحـــال نحو طيبة الطيبة، وتركي آخر ينطلق من استانبول إلى روسيا بحثـــاً عن معرفة أو فتح أو تبصيراً برسالة وهذا صـــيني وذاك فرنســـي، وآخر إنجليزي.. والجميع يسجل كل ما تقع عليه عيناه، وكل ما تاقت نفسه إلى لقياه، ويرسم صورة أدبية بديعة عن جديد يعود به لقومه قد رآه، يمزجه بثقافة آله وأوطانه.

---

(١) رحلة ابن جبير: صـــ١٦١ منشورات: دار ومكتبة الهلال بيروت ـــ لبنان ١٩٨١ ٠

(٢) تخليص الإبريز في تلخيص تاريز: رفاعة رافـــع الطهطـــاوي. الوجه الأول من الورقة الأولي بعد الفهرست، طب بولاق١٢٦٥هـــ نقلاً عن: أدب الرحلات د/ حسين محمد فهيم صـــ١٩ ٠

ومرت العصور والأزمان، وأصبحت الرحلة من مقومات المجتمع الإسلامي على مر أيامه، وغدا لكل عصر رحلاته، بل ولكل مجتمع رجالاته في هذا الفن. يجوبون مشارق الأرض ومغاربها يتجشمون الصعاب، ويتحملون المشاق لتحقيق أمانيهم، وأداء رسالتهم ومقصدهم من الرحلة، وبيان رؤيتهم وما كان يشغلهم أثناء الرحلة من معالم وآثار حضارية وتاريخية، ولقاءات ومساجلات مع علماء ومفكرين وأعلام، أو مع حكام أو سلاطين أو أمراء.

وما أجمل هذه الصعاب، وما أعذب آلامها، وما أحلى إبداعها إذا كانت الخطي تسير نحو الحبيب، والرحال تشد إلي بيت الهجرة / عاصمة المسلمين الأولى، وما أندى، وما أمتع، وما أصدق إذا صاحبنا هذه الخطى وكانت لرحالة غير عربي، ظامئ إلى لقاء المصطفي، متعطش إلى تجوال في مدينة النور .. طيبة الطيبة المحبوبة حيث منادح الحب والشوق المحمدي، والهيام المتأجج، وشذا اللهفة، وعبير المحبة والحنين إلى روضة سيد المرسلين وقبته الخضراء الزاهية. يترجمه إبداعاً فنيا متميزاً، وخلقا أدبياً خاصاً يثير مشاعر القلب، ويحرك الوجدان إجلالاً للحبيب بحديث شجي ندي يزهو ويسمو بهذا الجنس الأدبي المتميز ــ أدب الرحلات ــ الذي يكشف هنا عن جسور الحوار بين الأمم وأهميتها لتوحد الكلمة والشعور، ويبرز ذلك التلاقي الروحي والتلاقح للأفكار والرؤى الإبداعية المؤمنة فيما بينها.

كل هذا وأكثر نسعد به في صحبة الرحالة التركي المسلم "أوليا جلبي" في رحلته المباركة " الرحلة الحجازية" بمحطاتها الإيمانية في مشاهدها النورانية التي تنوعت وتعددت لاسيما في زيارته "للمدينة المنورة" التي يتوقف أمامها البحث في صفحاته التالية. وكلها محطات أضاف بها الرحالة "أوليا جلبي" بعداً جديداً، وملمحاً حديثاً

لمجتمع المدينة المنورة وما يمثله من مكانة خاصة عند جموع الأمة على امتداد الزمان والمكان خاصة وقد جاء هذا الوصف السردي من رحالة غير عربي!! يكتب بلغة قومه وليس باللغة العربية، ويكتب عن بقعة من خير بقاع الأرض طالما اشتاق إليها وهفت روحه لمعانقة أنوارها، والذوبان في حرمها.. ثاني الحرمين الشريفين .. الأمر الذي يحفزنا على صحبة هذا الرحالة التركي، والوقوف على أهم محطاته ومشاهداته في عمله هذا للوقوف على أبعاد تلكم الرحلة وسمات أسلوبها والمنهج الذي التزم به فيها، وتساؤلات أخرى كثيرة تتابعت إلي الذهن بمجرد سماعي اسم هذا الرحالة التركي المسلم الذي سعى لشرفٍ ورفعةٍ وعزةٍ بالكتابة عن هذه الديار الطاهرة وهو غير العربي!! حتى غدا ذلك حلمي وغايتي في تقديم هذه الصفحات التي أتمني لها الرفعة والقبول، وأن تكون بداية لطريق علمي نوراني أسلكه في حب طيبة الطيبة وساكنها ﷺ وحرمها وروضتها الشريفة وأهلها الطيبين الأطهار عبر هذه المحاور التالية:

- ✓ في رحاب طيبة الطيبة.
- ✓ مع " أوليا جلبي" الرجل الموقف.
- ✓ الرحلة المباركة إلى المدينة / طيبة.. قراءة في السرد والمضمون.

سائلاً المولى سبحانه وتعالى التوفيق في هذا المسعى، وأن يكون عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم، وتقرباً وحباً لسيد المرسلين ﷺ ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

د/ على مطاوع

- **في رحاب طيبة الطيبة:**

طيبـــــة ، ويـــــالهفى ∴ لالتماعهـــــا الحـــــدب
ليـــــتني بســـــاحتها ∴ في تعاقـــــب الحقـــــب
طـــــائر، معرشـــــه ∴ في معاقـــــد الرطـــــب
كلمـــــا أراد هفـــــا ∴ جانحـــــاه للقبـــــب
كارعـــــآ بموردهـــــا ∴ مـــــن رحيقـــــه الضـــــرب!
ذائبـــــا وأي ظـــــم ∴ عـــــب منـــــه لم يـــــذب
المكـــــان: هيبتـــــه ∴ مـــــن جـــــلال خـــــير نـــــبي
شـــــامخ بعترتـــــه ∴ والصـــــحابة النجـــــب
طيبـــــة الطيـــــوب، خـــــذي ∴ مـــــا شـــــدوت مـــــن كثـــــب
واعصـــــري علـــــى شـــــفتي ∴ مـــــن مراشـــــف العنـــــب
واســـــكبي فـــــبي ولـــــع ∴ في حمـــــــــــاك ذو دأب[1]

كم تمنيت أن أعود لأذوب في هوى طيبة مرة أخرى بعد زيارتي لها في صيف ١٤٢٥هـ، تمنيت أن أتنسم أريجها النبوي من جديد، أن أقتبس من نورها الفياض الملائكي، أن أسعد بالنظر إلى وجوه أهلها الطيبين، وأعانق نفوسهم الحانية الصافية، وأسكن قلوبهم الدافئة الصادقة .. هؤلاء الأطهار الأخيار الذين نصروا الحبيبﷺ، وآزروه بعد أن آمنوا به إيماناً يقينياً خالصاً من سويداء أفئدتهم فافتدوه بالنفس والمال والولد، وأكرموا أهله وأصحابه من المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم في كثير غال فاستحقوا تقديرا لا يزال صداه يتردد في جنبات المعمورة، ولسوف يظل أنشودة إيمانية خالدةً في التضحية والإيثار تتوارثها الأجيال المسلمة، وحقيقة دامغة في وجه من يحاول التطاول من قريب أو من بعيد على سيرة هؤلاء الأجداد وسمو أخلاقهم، وإخلاصهم في إيمانهم، وحب نبيهم ﷺ فقال

(١) مجلة الآطام: السنة الحادية عشرة ــ العدد (الواحد والثلاثون) صـ٩٢-٩٣ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ أبريل ٢٠٠٨م من قصيدة الشاعر السعودي الدكتور/ عبدالله بن سليم الرشيد "في رحاب طيبة الطيبة" .

الله تعالي: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] أشواق وأمنيات حن قلبي إليها عمرا فأودعها ربي في يقيني حقيقة، وظفرت النور المحمدي أكثر من مرة بحمد الله. وها أنذا ازداد قرباً من "المسكينة ، المجبورة، المحبة، المحبوبة، القاصمة[2]" القاسمة، دار الأبرار، دار الهجرة، دار السلام، دار الفتح، دار المصطفي، المختارة، الصالحة، المنورة، ذات الحرار، المرحومة، الخيرة، الشافعة، المباركة، المؤمنة، المرزوقة، الدار، الإيمان[3]، المدينة[4]، طابة، طيبة[5] ، الطيبة التي شرفها الله عز وجل بمواطئ أقدام سيد الثقلين ﷺ فتزدان بنوره جنبات هذه البقعة المباركة ويسمو تاريخها ليشرق بنور رب العالمين على تاريخ البشرية بالسكينة والأمن والسلام.

"ذلك التاريخ المشرق الذي كانت بدايته عندما اختار الخالق الأعظم تلك البقعة الطيبة ــ المدينة المنورة ــ لتكون مهاجراً وموئلاً لحبيبه وصفوة خلقهﷺ، ثم ضمته أحشاؤها متباهية ــ ويحق لها أن

---

(١) سورة الحشر: آية (٩) ٠

(٢) الدرة الثمينة في أخبار المدينة: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن محمود بن النجار. تحقيق: أبويعقوب نشأت بن كمال المصري صـ٦٦ وما بعدها ط٣ دار المؤيد ــ القاهرة ٢٠٠٥م٠

(٣) الدار والإيمان: ورد هذان الإسمان في القرآن الكريم في قول الله تعالى " والذين تبوء والدار والإيمان" سورة الحشر من الآية (٩)٠

(٤) المدينة: وهو الاسم الذي اشتهرت به بعد الهجرة النبوية.

(٥) طابة ــ طيبة: اسمان أطلقهما عليها رسول الله ﷺ للمزيد يراجع هنا: ــ المدينة المنورة تاريخ ومعالم: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة صـ٢٤ رقم (١٥) ط المدينة المنورة ١٤٢٦هـ. وأنظر: فتح الباري ١٠٦/٤.

تتباهي واحتضنت جسده الشريف ذرات تربها الزكي متفاخرة ــ ويحق لها أن تفاخر، ومنذ ذلك اليوم أو تلك اللحظة في تاريخ هذا الكون والأرواح تنجذب في شفافية إلى ذلك البلد الطيب، بل إلى الحرم النبوي بأهله ومحبيه ورواده، بقبابه وروضته ومشرقه، حتى إذا ما توقفت في حضرته متأدباً مع ساكنهﷺ تيقنت كم هو عظيم ــ ذلك النبي العربي الهاشمي الخاتم[1]..

عظيم في سيرته العطرة .. في سنته المطهرة .. في إنسانيته .. في أخلاقه التي أكدها القرآن في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]عظيم في رحمته، والذي اصطفاه الخلاق العظيم من خلقه لها، وبعثه من أجلها .. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] عظيم في رقيه، في لين جانبه، في لغة حواره، في فلسفة رسالته التي أدبه بها رب العالمين، وصورها كلام ربنا في محكم آياته في صورة جليه خالدة بليغة معجزة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[4].

تاريخ عظيم غدا على مر الأيام والدهور ذاكرة معطاء لهذا الكون، ولا عجب في ذلك وقد أرسل الله محمداً للناس أجمعين..﴿وَمَا

(١) هتاف من باب السلام: د/ عاصم حمدان، صـ٣٥ بتصرف. ط أولى ــ مكتبة دار جدة، سنة ١٤٢١هـ .
(٢) سورة القلم : آية (٤).
(٣) سورة الأنبياء : آية (١٠٧).
(٤) سورة آل عمران: من الآية (١٥٩).

أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[1] وأنزل مدينته الطيبة منزلة سامية تعظم كل مدن الأرض فخصها بأن تكون " مهبط الملائكة المقربين، ومنزل الروح الأمين، ومثوى السادة الأنصار والمهاجرين، ومركز خلافة الخلفاء الراشدين وهم من عرف العالم كله فضلهم ومكانتهم[2] وزادها الله شرفاً على هذا الشرف وسؤدداً على غيرها بهذا الحب الإلهي فيما أورده الحاكم في كتاب الهجرة بسند متصل إلى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلى (يقصد مكة) فأسكني أحب البلاد إليك" فأسكنه الله " المدينة المنورة لتكون بذلك أحب بقاع الأرض إلى الله سبحانه وتعالى، ولتسكن قلب النبيﷺ فتكون أحب بقاع الأرض إليه أيضاً فيما رواه الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة من قول النبي صلوات الله وسلامه عليه.. " ما على الأرض بقعة أحب إلي من أن يكون قبري بها ...؟ يعنى بها المدينة المنورة قاله ثلاث مرات[3]

ولك أن تؤمن إيمانا يقينيا بأن المدينة المنورة بكل ما فيها وما عليها وما تضمه في أحشائها، وما سطره تاريخ الإنسانية عنها بوصفها دار الهجرة وعاصمة الإسلام الأولى، وأحب بقعة عند الله ورسوله وغير ذلك من المناقب إنما تردد "في ذاكرة الزمن فينداح صداها في أعماق الآفاق حبا يفوق كل حب دنيوي، وإشراقاً يفوق كل إشراق، وبرد سلام يتغلغل في النفس فتهفو تواقة إلى منابع الإيمان

(١) سورة سبأ: من الآية (٢٨)
(٢) تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثاً: أحمد ياسين ــ تحقيق/ عبد الله محمد آمين كردي، صـ١٢ ط أولى ــ من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، سنة١٤١٠هـ ١٩٩٠هـ٠
(٣) المرجع السابق : صـ١١ ٠

حيث تطيف بنا الذكريات في مراتع الخير، ومرابع الهداية، وظلال الأمان الوارف، وأني اتجهت ببصرك في هذه الظلال، يقع على تاريخ يفوح بأريج سيد الخلق، وهادي البشرية، ومنقذها من الضلال رسول اللهﷺ والرحمة المهداة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكل شبر درج عليه في دار الهجرة تاريخ شاخص يتجسد في وعى الأمة الإسلامية بكل معاني النور والهداية المتمثلة في رسالة الإسلام ومنهجه القويم الذي حمل لواءه رسول الله ﷺ فادي الأمانة، ونصح الأمة، وأنقذها من مهاوي الزيغ والضلال والكفر والغواية، فانحسر بذلك الظلام، وأشرقت الأرض بنور ربها[1] .

إن مدينة بهذا التاريخ المشرق، وبهذه السيرة العطرة وبهذا التقدير والتبجيل من خالق الأرض والسماء، ومن حبيبه المصطفي ﷺ وبهذه المكانة العريقة من أنها " عاصمة الإسلام الأولى، ومنطلق الدعوة، ومأزر الإيمان على مر العصور والأزمان، والقلعة التي حارب منها أصحاب رسول الله لإعلاء كلمة الحق ونشر الإسلام، وانطلقت منها جحافل الخير والهداية[2] . مدينة بهذه الملامح والسمات، وبهذا التجذر في أعماق التاريخ الإنساني، وبهذا المجد وذاك السؤدد، وبما أنجبتهم من رجالات أفذاذ على مدار التاريخ ــ حقيق بالنفوس المؤمنة أن تنجذب إليها وتذوب عشقاً في حبها، وحقيق بالعقول أن تزهو بأمجادها ومعالمها وربوعها وآثارها، وبالأقلام أن تتغني في وصف أيامها ورجالاتها ومآثرها وروضتها وأنوارها التي لا تقاوم. الأمر الذي يفسر ذلك التدفق الإبداعي لهؤلاء

(١) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة: للمراغي ــ تحقيق د/عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان صـ٣، ط ١ ، سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢) بلادنا آثار وتراث: عبدالله الحضبي السبيعي ، صـ٣ ط١ سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

الرحالة قديما وحديثاً من الذين كانوا ــ وما يزالون ــ يرون في تلك الحواضر الحجازية ــ وبخاصة مكة والمدينة ــ مهوى ولأفئدتهم ومطمحاً لرغباتهم، وملتقى روحياً تتطلع نفوسهم لبلوغه. لا لأداء فريضة أو جبها الدين الحنيف وحسب، ولكن فيما أرى ــ للتزود من الري الإيماني بوصل الحبيب، وإخماد نيران العشق المحمدي في النفس ورواء الظمأ الوجداني لقلوب عامرة بالشوق إلى مهبط النور، وعواطف متأججة بحب الحبيب، عاشقة لمرابعه وروضته، ومولعة بسنته وهديه. ومن هؤلاء: الرحالة التركي " أوليا جلبي" الذي تتوقف الدراسة عند رحلته لطيبة الطيبة التي تضمنتها رحلته الموسومة "الرحلة الحجازية".

ومن منا يصبر على فراق ملامح المدينة وحرمها وروضتها وذكرياته وإن زارها مرة واحدة؟ ومن منا يتحمل البعد عن طيبة الطيبة؟. إن القلب لينظر بل ينخلع خلعاً وأنت تفارق المدينة.. باب الرحمة.. باب السلام.. الروضة.. القبة الخضراء.. منازل الحب والنور والهداية، مسجد البقيع، ومسجد القبلتين، جبل أحد.. مشاهد وملامح ومعالم عظيمة قلما أن يجود الزمان بها على بقعة أخرى غير طيبة المسكينة المحبوبة، أو تجد ما يضارعها في أرض دون سواها.

وما أخالني جانفت الحقيقة فيما ذهبت إليه آنفاً، وأنا أعاود النظر والقراءة في حديث حبيبيﷺ "اللهم كما أخرجتني من أحب البقاع إلى (وهي مكة المكرمة) فأسكني في أحب البقاع إليك" المرة تلو المرة وكأنني بالحبيب وهو يتضرع إلى ربه الرحيم أن يسكنه أحب البقاع إليه سبحانه وتعالى حينما ترك أحب البقاع إلى قلبه (مكة) وقد استبد به الحنين إلى مرابع الصبا والنشأة، وامتلأت نفسه بالأسى والحسرة، فأسكنه رب العالمين " المدينة الطيبة" لتكون أحب

بقاع الأرض إلى الله وإلي حبيبه ﷺ. فكيف لا تكون أحب البقاع إلينا بعد هذه الرفعة التي لا تطاولها رفعه؟! وكيف نترك حبها والتطلع إلي سماواتها النورانية وفيها " ثاني الحرمين الشريفين وإليه تشد الرحال"(١)، كيف؟ وكيف؟، وكيف؟، ونحن نشتاق دوماً إلى وصل الحبيب في الدنيا والآخرة، وإحياء سنته في قولهﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله تعالي عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : "من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشهد لمن مات بها"(٢) والحديث لاشك ترغيب من رسول اللهﷺ وتوجيه نبوي للأمة يبرز مكانة المدينة المنورة ومنزلتها.

ولم يكن ليتأتي للمدينة أن تحظى بما حظيت به لولا أن اختارها الله عزوجل لتكون موضوع الهجرة النبوية وتصبح العاصمة الأولى للدولة الإسلامية لتستحيل حماها الموهنة إلي قوة متدفقة في شريان الكيان الإسلامي فتمتد أطناب دولته حتى غشيت جل أصقاع الكرة الأرضية وتصبح بهذه المكانة السامية، ويصبح حرمها منارة تشع نوراً وهديا وعلماً وحكمة على جميع الأمم في عالمنا الإسلامي وعلى مر العصور الإسلامية ــ لاسيما بعد أن جعل معلم البشرية الأول محمدﷺ من مسجده الشريف مدرسة يتلقى فيها صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم وهي المدرسة التي تخرج فيها عبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة، ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ ، وعبد الله بن عمر وغيرهم . فكانوا أمثلة

(١) المدينة المنورة في العصر المملوكي: عبدالرحمن مديرس المديرس صـ٧ ط أولى ــ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ــ الرياض ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م ٠

(٢) سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي مجلة (٢) صـ١٠٣٩ كتاب المناسك ــ باب فضل المدينة . ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت بدون تاريخ٠

حية للشخصية الإسلامية التي تجمع بين نظافة السلوك وعمق المعرفة ورحابة الأفق[1].

ولا شك أن هذه المكانة التي تبوأتها المدينة المنورة عن باقي أصقاع المعمورة تقف من وراء اهتمام الكتاب والمؤرخين والرحالة على مر العصور بأخبارها ومآثرها ورجالاتها.

"فلم تحظ مدينة كما حظيت مدينة الرسولﷺ بتوجيه العناية إلي كتابة تاريخها والمتمثل في تدوين أخبار وسيرة رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

كما فعل عمر بن شبه النميري (١٧٣-٢٦٢هـ) في كتابه " أخبار المدينة المنورة " وفي الاعتناء كذلك بتتبع الآثار النبوية الصحيحة بين ربوعها الطيبة كما نجد ذلك عند الحافظ محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (٥٧٨ – ٦٤١هـ) في كتابه " الدرة الثمينة في أخبار المدينة"، وعند جمال الدين محمد بن أحمد المطري (٦٧٦ـ ٧٤١هـ) في كتابه " التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة". وعند زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي (٧٢٧-٨١٦هـ) في كتابه " تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة.

كما نلاحظ أيضاً اهتماماً يبدو في الاهتمام بتاريخ رجالها كما هو عند عبد الله بن محمد بن فرحون (٦٩١-٧٦٩هـ) في كتابه المخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة المعروف " باسم "تصيحة المشاور وتعزية المجاور" وعند مؤرخ آخر هو محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ) في كتابه " التحفة اللطيفة

(١) المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ : د/ عاصم حمدان على حمدان صـ١٣٢ ط أولى- من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٢هـ ١٩٩١م بتصرف.

في تاريخ المدينة الشريفة" بأجزائه الثلاثة التي نشرها أسعد طرابزوني ــ يرحمه الله[١].

ولم تقف عناية المؤرخين والكتاب والرحالة عند الاهتمام بآثار المدينة أو بتاريخ رجالاتها وحسب، بل شملت عنايتهم تاريخ طيبة الأدبي مثلما نجد عند الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني المتوفى بعد سنة (١٢٠١هـ -١٧٧٦م) الذي ألف كتابه " تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر" وهو كتاب هام يبرز مدى اهتمام مثقفي المدينة في فترة القرن الثاني عشر الهجري بفنون الشعر والنثر المختلفة، وتعاطيهم لتلك الفنون حسب المقاييس الأدبية لعصرهم.

كما أن التاريخ لجوانب الحياة الاجتماعية فيها لم يخل هو الآخر من اهتمام خاص، كما يبرزه لنا جعفر بن هشام الحسيني من أدباء المدينة في القرن الثالث عشر الهجري في كتابه المخطوط " الأخبار العربية فيما وقع بطيبة الحبيبة[٢]".

وما سبق يجعلنا نذهب إلي أنه ليس من المبالغة القول بأن في هذه الكتابات المتنوعة في مضمونها والمتعددة في مناحيها، وكذلك رحلات الرحالة قديماً وحديثاً[٣] لهذه الديار المقدسة (بلاد الحرمين) أمثال رحلات: ابن جبير، وبن رشد، والعبدرى، والتجيبي، وابن بطوطة، والبلوى، والصفدي، والقلصادي، والبكري، والقيسى، وأوليا جلبي، والعياشي، والتامراوى، ورحلة إدريس العلوى، ورحلة ابن

(١) المرجع السابق: صـ٩ .
(٢) للمزيد حول هذا الاهتمام التاريخي يراجع هنا: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ : من صـ٩ وما بعدها.
(٣) مما أشار إلى أكثرها الدكتور/ الصفصافي أحمد المرسي في مقدمة ترجمته: الرحلة الحجازية لأوليا جلبي من صـ١٢-٣٢ لمن أراد المزيد عن أشهر رحلات الحج.

كيران الفاسي، ورحلات المحدثين أمثال: محمد صادق، والتحفة اليمنية في الأخبار الحجازية لمحمد اليمنى بن على بن عرعار محار العنابي الجزائري، ومرآة الحرمين لصاحبها اللواء إبراهيم رفعت باشا، والرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني، قرشيا وسياحتي إلى الحجاز المنسوبة إلى غريب بن عجيب الهاشمي، والارتسامات اللطاف في خواطر الحاج إلي أقدس مطاف، للأمير شكيب أرسلان، ورحلة الحجاز لإبراهيم عبد القادر المازني، ورحلة مصطفي محمد المصورة إلي الحجاز " في المملكة الروحية للعالم الإسلامي" ورحلة العلامة مسعود عالم الندوى " شهور في ديار العرب[١]" ورحلات المعاصرين – مما أفاد البحث منها كثيراً أمثال: بن عقيل الظاهري في " الحباء من العيبة غب زيارتي لطيبة[٢] والطيار أنس القوز في رحلاته للديار المباركة " مكة المكرمة ــ المدينة المنورة ــ القدس[٣]" والدكتور الأديب عاصم حمدان في عمله المبدع الرائع الذي جمع فيه الكاتب المدني بين أكثر من ملمح من ملامح أجناس أدبية عديدة، ولكن تبقي لغة السرد الوصفي الجميل هي المسيطرة لتقترب بعمله " هتاف من باب السلام[٤]" من أدب الرحلات..

---

(١) شهور في ديار العرب: العلامة مسعود عالم الندوى – ترجمة وتعليق د/ سمير عبدالحميد إبراهيم. الناشر: مكتبة الملك عبدالعزيز – الرياض١٤٢٢هـ ٢٠٠١م سلسلة الأعمال المحكمة رقم(٣٧).

(٢) الحباء من العيبة غب زيارتي لطيبة: محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل (أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري) ط أولى ــ مطبعة سفير ــ الرياض ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٣) رحلات للديار المباركة (مكة ــ المدينة ــ القدس) أنس القوز ط أولى العبيكان ــ الرياض ١٤١٩هـ ١٩٩٨م..

(٤) هتاف من باب السلام: لمحات من ماضي المدينة المنورة: د/عاصم حمدان تقديم أ.د/ غازي بن عبيد مدني . ط أولى ــ الناشر : مكتبة دار جدة ــ السعودية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م..

ليس من المبالغة .. القول بأن في تلك الرحلات ما هو أكبر من الأبعاد الثقافية أو العلمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية في هذه الديار الطاهرة، وأكبر من التوحد الإسلامي العام في أحفل مجمع وأشمل ملتقي إيماني. إنها تكشف في يقين عن أناس رضي الله تعالي عنهم بعد أن رضوا عنه، بل عن أناس تمثلوا الشخصية الإسلامية في أرقى منازلها وأمكنتها الإيمانية الصافية ففازوا برضا الله، ووصل الحبيب، وغرسه الطيب الذي مازال حتى اليوم يرتوي من فيض المصطفيﷺ ومن نال هذا الشرف فهو الموعود كما يقال عندنا في مصر بين العوام. حيث يقولون: إن زيارة الحبيب والحرمين للموعودين. وقد سمعت بهذه اللغة هنا في المملكة أيضاً وأنا أهاتف أخاً لي[1] في بلاد الحرمين الشريفين، وهو من مجتمع المدينة المنورة ممن تمثلوا الخلق الإسلامي القويم، وحققوا في معاملاتهم مع الآخرين ما جاء به سيد الخلقﷺ في قوله : إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً[2] " إذ كنت أبث أخي هذا شوقي إلي المدينة الحبيبة دوما ، وأمنيتي في العمل والعيش بجوار روضتها المشرفة فأجبني بتعاليم الحبيبﷺ من أننا نسعد ونشرف بك، ولكنها للموعودين وأتمنى أن تكون منهم!!

ولا غرو في هذه الأماني، وذلك الحب الروحي لتلك العواطف التي تتحرق شوقاً دائماً إلى مدينة الحبيب، فكلنا يحدونا الأمل أن يجمعنا الله دائماً بطيبة الطيبة، ووجوهها النورانية، وحرمها، وروضتها، ورياضها نتفرس الوجوه المتلألئة هناك علنا نطالع فيها

---

(١) الأديب: نايف الجهني عضو مجلس إدارة النادي الأدبي بالمدينة المنورة.

(٢) شرح الأربعين النووية: لابن دقيق العيد صـ١١٩ ط أولى – مكتبة الرشد ــ الرياض السعودية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

إشراقة وجه الحبيب، ونقف على أعتابها الطاهرة في حرمها وروضتها أملاً في رضا ربنا الكريم، وقرب ووصل بالهادي البشير، ونجوب أحياءها ودروبها وشوارعها وأذقتها علنا نلامس.. أرضا زكية شرفت بأقدام النبيﷺ يوماً ما..

أقول: لا غرو في هذه الأماني، وذلك الحب النبوي، وحب النبيﷺ متمم لإيمان المؤمن بنص الحديث الشريف الذي يقول فيه ﷺ" والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين[١]" كما أن حب المدينة ــ على حد زعمي من موجبات الحب الصادق للنبيﷺ فحب المكان جزء من حب المكين. ويكفي طيبة هذا التقدير من الحبيب المصطفي في حديثة الذي رواه أبو هريرة رضي الله تعالي عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن الإيمان ليأرز[٢] إلي المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها[٣]. وفي المدينة تنزل الذكر الحكيم، وفي عرصاتها حدثت أحداث التاريخ الإسلامي التي يعتز بها كل مؤمن، فالأحداث الجسام حدثت في.. المدينة في عهد الرسولﷺ وفي عهد من جاء بعده، ومنها يستروح المسلم في المعاصرة صور ما حدث في الأيام الأولى من انتشار الإسلام، وذلك عندما يرتبط الزمان بالمكان والعيان[٤].

آمال لم تبرح فكرنا، ولم تفارق مخيلة من زار طيبة المسكينة ولو لمرة واحدة، أو سمع، أو قرأ عنها ومن ثم تعلق بأنوارها

---

(١) شرح الأربعين النووية: لابن دقيق العبد صـ٢٣١ .
(٢) ليأرز: أي ينضم ويجتمع بعضه إلي بعض فيها..
(٣) سند ابن ماجة: مجلد (٢) صـ١٠٣٨ كتاب لمناسك ــ باب فضل المدينة..
(٤) للمزيد عن أخبار هذه الأحداث يراجع هنا: المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري: احمد سعيد بن سلم صـ٢١٦ وما بعدها. ط أولى ــ دار المنار ــ القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

ومنازلها الكريمة عند الله تعالى وعند حبيبه المصطفي ﷺ ولا أجد أدل على ذلك من هذه القطعة السردية الوصفية لرحالة طغت عليه مشاعره بعد زيارته للمسجد النبوي فراح يهيم عشقاً في حب طيبة مؤكداً أن صورتها البديعة المؤمنة سوف تظل محفورة على جدران قلوبنا.. يقول العلامة مسعود عالم الندوي:

" قسوت على قلبي، وطويت متاع سفري، فليساعدني الله، ويوفقني إلي العودة من مدينة حبيبه ﷺ ، فربيع المدينة دائم، فلماذا لا ننجذب إليها؟، وإذا لم نعشق مدينة الحبيب، فأي مكان نعشق؟! وأي مكان يجذب القلوب ويهز الروح؟ من ناحية الذهاب ، نحن لاشك ذاهبون، عائدون إلى ديارنا، لكن صورة المدينة ستظل باقية على مرآة قلوبنا:

- ✓ **فما رأته العين لا يزال ماثلاً أمام العين.**
- ✓ **ما رأته العين، ذاب، وامتزج في القلب.**
- ✓ **ماذا أحكي؟ وماذا أقول عن ربيع المدينة.**
- ✓ **ربيعها ربيع في ربيع في ربيع[1].**

وحسبي أن اعرض الآن إحدى الرحلات الإيمانية لرحالة غير عربي عشق المدينة وانجذب إليها قلبه انجذاباً، وهزت روضتها وقبتها الخضراء روحه فراح يهيم في حبها إبداعاً صادقاً ممتعاً استحق أن نقف أمامه تبجيلاً ودرساً وتحليلاً.. إنه الرحالة التركي المسلم أوليا جلبي في رحلته الحجازية التي ترجمها إلي العربية الدكتور/ الصفصافي أحمد المرسي[2] والتي نخص منها رحلته إلى طيبة الطيبة هذه الصفحات.

---

(١) شهور في ديار العرب: العلامة مسعود عالم الندوي. ترجمة د/سمير عبدالحميد إبراهيم صـ٣٧..

(٢) وهي الترجمة الرئيسة التي اعتمد عليها البحث في محاوره العديدة.

أوليا جلبي... الرجل والموقف:

رحالة كبير له مكانته المتميزة بين مبدعي أدب الرحلات، وفارس صوال جوال طاف وفاق الكثيرين في ركون الخيل التي آلفته وألفها، شغوف بالأسفار، محب عاشق للحرية والترحال، وموسوعي تعانقت الفنون فى مخيلته وتوافرت على موهبته، فأبدع في الخط الذي سخره لإبراز التراث العربي والإسلامي – وهو التركي، وبرع في النقش – الذي أخذه عن أبيه[1] على المعادن ليرقى بالفن الإسلامي في عصره، ولهج بالشعر وتغني بقوافيه وموسيقاه، وفوق ذلك كله.. فقيه وحافظ متقن لكتاب الله تعالي، قارئ لآياته بصوت

(١) درويش محمد ظلي، والذي عاصر تسعة من السلاطين العثمانيين اعتباراً من السلطان القانوني وتوفي عن مائة وتسعة عشر عاماً.. بدأ منادماً، ومصاحباً للسلطان القانوني، ولحسن صوته، عمل مؤذناً أساسياً في جامع سليم الثاني في أدرنة، ولما كان فناناً، أصبح رئيساً لجواهرية السراي اعتباراً من عصر سليم الثاني هذا، ثم تدرج، وتدرب على العديد من الأعمال التي طورت، ونمقت الفنون لديه. كانت له محلاته التي تعمل في الجواهر، فخرجت من تحت يديه قطع فنية نادرة.. منها ساعة جميلة جعلها في خاتم السلطان محمد الثالث، وباب الحرم المشغول خصيصاً لجامع السلطان أحمد.. وأرسل به إلي مكة خصيصاً لصنع المزراب الذهبي الذي صنعه بيديه لتصريف مياة الأمطار من فوق سطح الكعبة المشرفة، الأمطار من فوق سطح الكعبة المشرفة، والدولاب الذي صنعه من قنطار من الفضة لـ قدم النبي " اثر النبي ﷺ في مصر .. والبوابات، والأبواب الفنية الرائعة التي صنعها بنفسه الجامع " أستركوا" وخرجت تحت يديه العديد من البسملات، والآيات، وأبيات، وأبيات من الشعر كتبها بالخط العربي الجميل لكي تزدان بها الأسبلة.. والمحاريب.. والمنابر في العديد من المدن، والأحياء التي طاف بها أوليا جلبي فيما بعد، وذكر أنها من إبداعات والده. راجع هنا للمزيد: الرحلة الحجازية: أوليا جلبي، ترجمة د/الصفصافي أحمد المرسي، صـ٥٥ بتصرف.

حسن رخيم ينسرب إلي قلوب سامعيه بتوهج النظم، وحلــو الكــلام، وعذوبة الألفاظ حتى شنف به آذان السلطان مراد الرابع وهو يتلــوه في جامع أياصوفيا فأعجب به وبتلاوته، فطلبه إلى قصره وجعله من ندمائه.

لكن عيش القصور والترف لم ترق له لكونــه محبــاً وعاشــقاً للحرية والانطلاق، شغوفاً بالتنقل هنا وهناك فراح يقبل على حياتــه الجديدة مع الأسفار والترحال في بلاد الدولــة العثمانيــة المترامية الآفاق من أرض الله، يكتب عن الجديد ويصــف الغريــب، ويســطر بقلمه، ويخط بفرشاته جماليات الطبيعة من حوله.. حتى جاء رحالة كبيراً بإبداعه الفريد المتميز في هذا الجانب الذي ترجم إلــى لغــات منها: الألمانية والإنجليزية، والفرنســية، والروســية، والمجريــة، والرومانية، والبلغارية، والصربية، واليونانية، والأرمنية وغيرها من اللغات الإنسانية في بلاد الغرب.. إنه المستشرق التركــي الرحالــة المسلم " الحافظ محمد أوليا جلبي بن درويش محمــد ظلــي" الــذي اشتهر بلقب " أوليا جلبي" = " ولى الله[1]".

ولد "أوليا جلبي" في العاشر من المحرم سنة ١٠٢٠هــ الموافق ٢٥ من مارس سنة ١٦١١م لأبوين كريمين في حي "ياووزســنان" أحد الأحياء العريقة في مدينة استانبول، وهو ذلك الحي الذي كــان يحمل أسم جده الرابع "مير عالم" ياوزارسنان أحــد حــراس محمــد

(١) كلمة أوليا، هي تخفيف من الكلمة، أولياء وهي جمع كلمة ولي.. أما كلمة جلبي فهي مكونة من كلمة جلب التركية القديمــة وتعنــي "الله" و"ي" وهي ياء النسبة العربية. فيكون المعني العام هو الــولي المنتسب إلي الله أو ولي الله .. وهذا هو الأرجح لمعني الاسم الذي ارتضاه والد الطفل، فقد أراد له أن يكون صوفياً، يســلك طريــق الصوفية المؤدي إلى الله، المرجع السابق: صــ٥٣.

الفاتح الكبار، وقد تغير اليوم ليحمل اسماً جديداً هو حي " أتـــاتورك بولواري".

وحسبنا أن نقرأ شيئاً من سيرة الرجل الذي كيف وصل إلى هذه الشهرة؟ وكيف أصبح من الرحالة المشهورين؟، وذلك مـــن خـــلال تكوينه الأسري، والديني، والثقافي، وتكوينه المجتمعي الذي يشـــكل كثيراً من وجدان مثل هؤلاء الرجال من الذين اثروا الحياة الثقافيـــة والفكرية في هذا الوجود بما قدموه من إبداع إنساني خلد ذكرهم على مر الأزمان.

نشأ الابن النجيب "أوليا جلبي" بين أحضان أبوين قد انحـــدروا من أصول عريقة كريمة، فالأب هو ذلكم الرجل الذي امتد نسبه إلـــى الصوفي الشهير "أحمد يسوي[1]" وإلي "مير عالم.. ياوزارسنان" احد كبار حراس محمد الفاتح" صاحب الجامع العتيق الذي مازال يحمـــل اسمه في مدينة استانبول حتى اليوم. وقد تحمل من تربيـــة "أوليـــا" الذي فقد أمه/ أحب الناس إلى قلبه في سنيه الأولي ليجد العوض في رعاية والده الذي أخذ على نفسه أن يربيه تربية دينية صوفيه كانت لها الأثر الكبير فيما بعد توجيه "أوليا" وجهة علمية أدبية دينية وإن لم يرفع رأيتها في حياته الأدبية.

---

(١) أحمد يسوى: صوفي كبير، صاحب مذهب صوفي يحمل اســـمه، وقد ظهر في التركستان فس محيط صوفي، تتلمذ على يـــد العـــالم المشهور أرسلان بابا، ثم رحل إلي بخاري ليتلقى العلم علـــى يـــد يوسف الهمزاني، بعد أن أتم دراسته ، شـــكل طريقتـــه الصـــوفية الخاصة به، ونالت رواجا كبيراً في بلاد ما وراء النهر ، توفي عن عمر ناهز الستين سنة ٥٢٦هـــ ١١٦٦ وقد جمع آراءه الصـــوفية في كتابه ديوان حكمت= ديوان الحكمة، أنظر : الرحالـــة التركـــي أوليا جلبي: د/ عمرو عبد الباقي ــ مجلة كلية اللغات والترجمة ــ جامعة الأزهر، مصر العدد التاسع، ١٤٠٩هـــ / ١٩٨٩م..

وقد ظهر هذا التوجه التربوي الديني من أول يوم لاح فيه نجم "أوليا" في سماء الدنيا". ففي ليلة مولده كان الشيخ صنع الله أفنــدي بن الحاج مصطفي بن جعفر أفندي شيخ الإسلام الثالث والعشرين ــ في الدولة العثمانية ــ في المنزل لحظة ميلاده، فأذن بصوت عال في أذنه وأطلق عليه لقب (أوليا) ليضيف والده بعد ذلك لفظ (جلبي) أملاً في أن يكون هذا الوليد ولياً لله سبحانه وتعالي.. وأمر الوالد بــذبح الأضاحي " العقيقة " فذبح الشيخ إسماعيل أفندي المولوي أضــحية.. وكان في المنزل أيضا سبعون من العارفين بالله من بينهم كيسوه دار محمد أفندي الذي احتضن الوليد وأذن في أذنه اليســرى ثــم ربــط قماطه[١] وأطلق عليه اسم "محمد" ليصبح اسم المولود مــن يومهــا "محمد أولياجلبي بن درويش محمد ظلي" ولم يقف الاحتفاء بالمولود "أوليا" عند هذا الحد، بل أخرج شيخ مولوية قاسم باشا كسرة خبــز من فمه المبارك، ووضعها في فمه داعياً له. كما أخذ شيخ مولويــة يكى قابي = يني قابي الشيخ دوغاني الطفل الصغير ودهدهه وقــذف به في الهواء متمنياً أن يكون هو طائر المولوية فــي الــدنيا.. [٢]". وكلها مشاهد ومحطات تصور البيئة التي ولد فيها "أوليا" والمجتمــع الصوفي الديني الذي احتضنه في أول عهد له بالحياة الدنيا مما كان له الأثر البالغ في تكوين شخصية "أوليا" من بعد.

وأما أمه هي الأخرى فقد أفاد نسبها تكوينه الشخصي والعلمي، فقد كانت ذات نسب وحسب تصل في قرابتها إلى الصدر الأعظم أحمد باشا الذي صار وزيراً، ثم صدراً أعظماً في الدول العثمانية في زمان السلطان "محمد خان الرابع" وهو ما أشار إليه "أوليــا" فــي كتابــه الشهير " سياحتنامة" قائلاً: ولما كان أحمد باشا يمت بصلة القرابــة

(١) القماط: خرقة عريضة يلف بها المولود.
(٢) سياحتنامه : أوليا جلي ٣٦١/١ ط أولى .

لوالدي فإن الإنعام كان يصيبني في سهولة ويسر[١]" فكانت صلة "أوليا" بملك أحمد باشا وطيدة طوال حياته، وبسط عليه عطفه، وحمايته، كما حظي برعاية زوجته أسمهان قايا سلطان ابنة السلطان العثماني مراد الرابع الذي قربه منه ومن مجلسه هو الآخر بعد أن سمعه وهو يتلو القرآن في جامع الأياصوفيا في احتفال ليلة القدر من شهر رمضان لعام ١٠٤٥هـ الموافق ١٦٤٦م. واجتذب اهتمام السلطان مراد والحاضرين، فطلب السلطان أن يأتي إليه، ولما استقبله في مقصورته، خلع عليه، وقدره، وطلب أن يكون من مصاحبيه[٢].

وتحكي بعض الشروح التي اهتمت بنتاج أولياجلبي موقف إعجاب السلطان مراد الرابع به، فيذكر الدكتور الصفصافي أن السلطان قد أدرك انفعال أوليا في ليلة القدر تلك التي أشرنا إليها آنفاً لحظة ختمه لكتاب الله تعالى فسأله: (في كم ساعة تستطيع ختم القرآن.. فرد أوليا: "مولاي السلطان لو شئت فإنني أختمه في سبع ساعات، ولكنني أختمه إن شاء الله تعالى في ثمان ساعات دون إفراط أو تفريط" فأحسن السلطان عليه بحفنة من الذهب قائلاً: "إن شاء الله تكون مصاحبي[٣]". فكان من حاشيته ومن ندمائه.

ولا عجب أن يظهر "أولياجلبي" بهذا النبوغ الإيماني أمام السلطان، وهو الذي ولد في جو ديني زاخر بالصفاء الروحي، عامر برجالات الدين من حفظة كتاب الله وأصحاب الفكر الصوفي، وهو

(١) سياحتنامه : أوليا جلي ١/٢٤٥. ومن الدارسين من عده خالاً لأوليا . راجع ذلك بالتفصيل في الرحلة الحجازية لأولياجلبي، ترجمة وتقديم د / الصفصافي أحمد المرسي ، ص ٦٣.
(٢) السابق : ١/٢٤٤ .
(٣) الرحلة الحجازية : لأولياجلبي ، ص ٥٩.

الذي حفظ القرآن في سن مبكرة، ودوام على تلاوته حتى أتقنه على يد معلمه وشيخه أوليا محمد أفندي ولقب بـــ"الحافظ" وحينما أدركته قاطرة التعليم يلحقه أبوه بمدرسة شيخ الإسلام حامد أفندي الابتدائية ليدرس فيها التجويد، وعلم القراءات.

وقد ساعد هذا الجو المترف الذي نشأ فيه أوليا وعـاش فيـه طفولته من حسب ونسب لوالديه ووجود والده في السراى (الـبلاط السلطاني)، وكذلك علاقته الحميمة برجال الدين والتصوف، ومناصب الأقارب.. كل ذلك مكَّنه من تعليم متميز تفرّد به على أقرانه في ذلك الوقت. وهو إلى جانب هذا الاهتمام مـن أسـرته نـرى شخصـيته الحريصة على طلب العلم والتطلع إلى النبوغ والتميز، فيصمم علـى التفرغ للعلم. بينما كان يتعلم على أبيه فن الخط، وفنوناً أخرى كصقل الأحجار الكريمة والكتابة عليها إلى جانب ما كان يتلقاه من علوم في الأندرون (القسم الـداخلي بالسـراي) مـن تعلـم اللغـة العربيـة، والفارسية، وفنون الخط العربي.. إلى جانب ذلك كان مغرماً بقـراءة التاريخ.. والابتهالات الدينية.. ولهذا حفظ بعـض المختـارات مـن كلستان سعدى[١]. ومثنوى جلال الدين الرومي[٢]، وكـان يستشـهد ببعضها في كتاباته، وخلال رحلاته التي دونها في سياحتنامة.

---

(١) هو الشيخ مصلح الدين الشيرازي،من أعاظم شعراء إيـران وحكمائهـا المتصوفين. ولد في أواخر القرن السادس الهجري في عصر سعد بـن زنكي بمدينة شيراز.ونسب لهذا الحاكم فاشتهر بسـعدى،عاش١٠٣سـنة قضاها بين التعليم والعسكرية والسياحة والزهد والعبادة. كتب العديد من الكتب التي نالت شهرة واسعة في عالم الأدب في مقدمتها كلستان سعدى "حديقة سعدى" كما كانت له أشعار أقبل على حفظها الكثيرون وتـأثروا بها من أتـى بعـده مـن شـعراء الفـرس والترك.أنظـر: قـاموس الأعلام:شمس الدين سامي، جـ ٤.

(٢) جلال الدين الرومـي: (١٢٠٧ – ١٢٧٣) مـن أكبـر شـعراء التصوف في العالم الإسلامي، عالم وفيلسوف، ومؤسس الطريقـة المولوية. ولد في منطقة بلخ في خراسان، ومنهـا انطلـق إلـى=

وحسب رواية أوليا نفسه، فقد كان "يجيد الشيء الكثير من فنون القول، والشعر العربي، والفارسي، والسرياني، واليوناني. وفنون الغناء الشعبي التركي، والموسيقي، والذكر والأدب، ويحفظ الكثير من الشعر في البحر الطويل، ومن القصائد وترجيح بند، وتركيب بند[1]، والمرثية، والعيدية.

ويصف نفسه وهو في مرحلة السراي- التي قضى فيها أربعة أعوام تعلم فيها الكثير من العلوم والفنون، وتعرف على الكثير من رجالات عصره- بأنه كان في حوالي العشرين من عمره، وكان رشيداً، نجيباً، على علم بمجالس الأدب، وحلقات الذكر، والعلم. وأنه وهو في حضرة السلطان كان حلو اللسان طليقه.. منادماً خفيف الظل[2]. ولكن هذه المكانة بالقرب من السلطان لم تدم طويلاً وهو الفتى الذي عشق السياحة والانطلاق في أرض الله، ليبدأ مرحلة جديدة في حياته بعد أن أذن له السلطان بترك صحبته وحاشيته.

=الأناضول إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٢م ، ثم عاد إلى الأناضول مرة ثانية له كتب في التصوف ولكن أشهرها قاطبة هو كتاب " المثنوي" المكون من ٢٦,٧٠٠ بيتاً، وقد كتبه باللغة الفارسية، وترجم بعضاً منه د/ محمد كفافي ثم أكمل الترجمة وأعد الكتاب من جديد إلى العربية د/ إبراهيم الدسوقي يوسف شتا. وله أيضا : الديوان الكبير، والمجالس السبعة وكلها تدور حول التصوف والعرفان وما يتعلق بهما من آداب ومراسم. وله مكتوبات وهي رسائل في الوعظ والإرشاد ، أنظر: استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة: د/الصفصافي أحمد المرسي، ص١٤٤، ط القاهرة ، ١٩٩٩م.

(١) ترجيح بند وتركيب بند ، من فنون الشعر الفارسي والتركي ، وقد حرص الشعراء الفرس والترك بأن يد لي كل منهم بدلوه فيهما. راجع هنا: الرحلة الحجازية : لأولياجلبي ، ص ٦٠.

(٢) السابق : ص ٦٠.

ذلك أن "أولياجلبي" منذ نعومة أظفاره وهو صاحب موقف فــي الحياة، يعلن دائماً ما بين الفينة والفينــة عــن طبيعــة شخصــيته الموسوعية المتأملة في كل جديد في الفكر والإبداع الإنساني. الآملة في التطواف والتعرف على أرض الله وشعوبها، فجاء حافظاً قارئــاً للقرآن، وخطاطاً ونقاشاً للمعادن والأحجار الكريمة وشاعراً وأديبــاً وفقيهاً وقائداً ورائداً في أدب الرحلات.

حيث "شغف فارسنا بالسياحة، والرحلات وهو لم يــزل شــاباً، وذلك بعد أن وقع تحت تأثير ما كان يسمعه من قصــص، وروايــات عن البلدان البعيدة من والده، ومن رجالات الفكر، والعسكرية الــذين كانوا يجتمعون في منزلهم في كثير من المناســبات، ودفعــه هــذا الشغف أن يطوف أولاً باستانبول، ويدرسها شبراً شــبراً، ويتعــرف على كل معالمها ومآثرها، ويعيش لياليها ويتمتع بملاهيها وملاعبها تنفيذاً لوصية شيخه المولوي (عبدالله ده ده) حينما لجأ إليــه أوليــا لتفسير رؤية قد رآها فقال له: (إبدأ بتحرير تاريخ استانبولنا العزيزة) فيشمر عن ساعده، ويتحفنا بكتابه الرائد سياحتنامة بمجلداته العديدة متنقلاً فيه بين بلاد مختلفة يقص من خلالها الغرائب والعجائب التي شاهدها وعاينها بنفسه ليقدم لنا حكايات في غاية الأهميــة لدراســة تاريخ وعادات وتقاليد ومعالم تحتاج إلى دراسة وتحقيق لإبراز سعة اطلاع الرحالة "أولياجلبي" وتقف في الوقت نفسه على حدود الرحلة عنده ودوافعها، وجماليات الأمكنة التي رصدها ونقل مشاهداته عنها إلينا في صدق فني وأمانة أسعدت الكثيرين.

لكن أوليا جلبي الذي زار الكثير من البلدان ورأى آلاف المــدن ونقل ملايين المشاهد والمعالم والصور لم يسعد إلى هنــا.. فأصــيب بنوع من الكآبة والسأم والحزن لعدم قيامه بالحج وزيــارة الأمــاكن

المقدسة، فلم يظفر إلى وقت متأخر من عمره بمعانقة الحـرمين إلا بمخيلته ووجدانه.

– وهو الذي بُشر بهذه الزيارة في مطلع حياته وبداية عهـده بأدب الرحلات، وذلك في رؤية رآها وقصَّـها علينـا فـي مقدمـة سـياحتنامة، وكانـت هـذه الرؤيـا فـي ليلـة عاشـوراء سـنة ١٠٤٠هـ=١٦٣٠م فيقول:

" إنه رأي في هذه الليلة المباركة النبي ﷺ وسط حشد كبير في صلاة جماعة بجامع (أخي جلبي) ويمثل "أولياجلبي" بين يدي النبـي ﷺ، وتحت تأثير هذا الموقف يتلعثم، وبدلاً من طلب الشفاعة يطلـب السياحة حيث قال: "السياحة يا رسول الله بدلاً من أن يقول " الشفاعة يا رسول الله". وما أن رأى سعد بن أبي وقاص ﷺ منه ذلـك حتـى طمأنه بالشفاعة والسياحة معاً[1]. – فحزَّم أمره، وأعد عدته للقيـام بالرحلة المباركة.. الرحلة الرابعة عشر والأخيرة في حياته ألا وهي رحلة الحجاز ومصر، وإن أفْردت "الرحلة الحجازية" في سفر مستقل بها اليوم.

وفي هذه الرحلة الإيمانية يقدم لنا الكاتب من خلال وصف دقيق وممتع رحلته منذ أن انطلق من الشام حتى انتهى مـن أداء شـعائر الحج، موضحاً شعور المسلم المؤمن في مواجهة الصعاب، وكيف أن القافلة كانت تتحمل ما لا يطاق من أهوال ومخاطر وبرد، وجـوع ، وعطش وهي تعبر الصحراء القاحلة من أجل الإيفاء بركن من أركان الإسلام ومعانقة الحرمين الشريفين بأرضهما ومعالمهـا وآثارهمـا وتجلياتهما في وصف يقف بنا على حال الحرمين في حقبة تاريخيـة

(١) للمزيد عن حياة "أولياجلبي" يراجع: – الرحلة الحجازية . ترجمه وتقديم د/ الصفصافي أحمد المرسي ص ٥٣–٦٩ وهي ترجمة أفاد البحث منها كثيراً حتى عدت المصدر الرئيسي لهذه الصفحات.

تبرز تطور الحرمين في حاضرنا المعاصر لاسيما الحرم المدني وديارة المطهرة التي توقف البحث عند المشاهد والرؤى التي سجلتها عين الرحالة "أولياجلبي" الثاقبة هناك.. فإلى هناك حيث الصحبة الطيبة مع "أولياجلبي" وهو يطوف بطيبه الطيبة.. المحبوبة المسكينة.

****

الرحلة المباركة إلى المدينة .. قراءة في السرد والمضمون :

في العشرين من شهر شوال سنة إحدى وثمانين وألف من الهجرة النبوية انطلق الرحالة التركي المسلم "أولياجلبي" من الشام = دمشق قاصداً الحج وسط احتفال مهيب ، لم تر مثله البلاد آنذاك من قبل ، يتريض في صحبة قافلة الحجيج – وقتها – الرياض ، والباستين الغن ، والحدائق الفيحاء .. الكل يسرع متلهفاً لقاء الحبيب ويعلم أنه سرعان ما يواجه الصعاب في رحلته الإيمانية تلك ، ويتحمل كثيراً المشاق ، وما لا يطاق من برد ، وجوع ، وعطش بطش وقطاع الطرق من أشقياء العربان ، والبدو وهم يعبرون الصحراء القاحلة ويمرون بالعديد من الأودية والقرى والمنازل والقلاع والقصور العربية .

معاناة ما بعدها معاناة وأمنية سامية رفيعة دونها الحجب والأستار لكنها مهوى الأفئدة الأوابة ، ومطمح الراغبين المحبين وملتقى الأرواح المؤمنة ، وملاذ النفوس الحائرة الباحثة عن النور .. إنها مكة .. إنها المدينة / طيبة الطيبة .. إنها بلاد الحرمين التي نسعد بالقرب منها ، وتخمد نيران شوق القلوب بوصلها ..

وزوار هذه الديار صنفان: صنف يقنع بالوصل ومعانقة الحرمين وصنف آخر لا تهدأ جوانحه ولا تذهب أحزانه وهمومه ولواعج شوقه إلا بعد تتبع وتأمل في كل أثر ومعلم في هذه الأراضي الطاهرة، واستقصاء والتقاء بعلوم ومعارف ورموز ورجال وانغماس وذوبان في أنوار الحرمين الشريفين لاسيما الحرم النبوي بروضته المطهرة وحجرته المعطرة وقبته الخضراء المنورة وهذا ديدن الرحالة وبخاصة المسلمين من الذين "حفلت كتاباتهم بالمباحث العلمية والنواحي التاريخية والأمور الفكرية وبصنوف الآداب وفنون

المعارف[1]. عبر أسلوب فني صادق ترجم تفردهم في أسلوبهم وكشف عن شعورهم الإيماني العميق.

و" أولياجلبي " من أولئك الرحالة المسلمين الذين أضناهم الشوق إلى بلاد الحجاز فقدم لنا تلك الوثيقة الخالدة عن بلاد الحجاز / بلاد الحرمين في حقبة زمنية فائتة عبر وصف دقيق ممتع لرحلة فنية إيمانية ابتعدت كثيراً عن لغة السرد اليومي النمطي التقليدي مما نراه في مثل هذه الرحلات على غير ما نرى هنا من رصد ووصف واستقصاء لمعالم وآثار ومشاهد وعادات حتى جاءت هذه الرحلة لأولياجلبي من المصادر الرئيسية في محيط هذا الجنس الأدبي ، وأنموذجا فريداً للرحلات الاستشراقية إلى الحرمين بما اشتملت عليه من أبعاد سياسية وعقدية واجتماعيه وتاريخيه فضلاً عن أخلاق إنسانية وقيم إيمانية وطبائع نفسية يتوقف البحث عندها بعد قليل.

حيث يقدم "أولياجلبي" هنا في هذه الرحلة أوصاف الحرمين الشريفين وما فيهما من تحف وعدد المآذن ، والأبواب ، والأعمدة والشبابيك وأطوال كل منها . وتعريفاً كاملاً بسكان البقيع من أصحاب رسول الله ﷺ. كما يصف لنا وصفاً دقيقاً كل ما كان يصادفه من قلاع وأودية وحصون ومساجد وتكايا ومزارات ويعرفنا بأقطاب العلم ويقف على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإدارية . والتشكيلات العسكرية آنذاك، والتقسيمات الإدارية للشام والحجاز. وكثيراً ما كان يتحفنا ببعض من أشعاره الجياشة وتضرعاته وتوسلاته في الحرم النبوي وأمام أستار الكعبة الشريفة . وإن لم ترق هذه الأشعار إلى الفنية التي نراها في شعرنا العربي الأصيل . وإذا تجاوزنا مكة

(١) "الحج في أدب الرحلات" .. الشيخ علي الطنطاوي أنموذجا "عبدالله بن حمل الحقيل . مجلة الأدب الإسلامي : ص١٧ ، العدد (٥٣) سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧ م .

المكرمة بأنوارها ومناراتها وأستارها ومائها المبارك وطوافها المقدس ، وسعيها الخير ، لنتوقف عند طيبة الطيبة المحبوبة – موضوع البحث – لا حظنا تتبع "أولياجلبي" منهجاً في رحلته المباركة إلي مدينة الحبيبﷺ عالج كل صغيرة وكبيرة وكل شاردة وواردة وقعت عينه عليها داخل المدينة وخارجها، أو تتصل بسبب بسيرة ساكنها ﷺ أو بتاريخها ومكانتها . وذلك من خلال هذا التتبع الدقيق وذاك السرد الاستقصائي لكل معالم طيبة وآثارها ومزاراتها ومساجدها وقلاعها وحدائقها .

وقد أفاد "أولياجلبي " لنجاح منهجه الذي التزم به هنا في هذه الرحلة من المؤرخين والرحالة السابقين. فقد كان "يدون ملاحظاته، ومشاهداته ، ثم يرجع إلى كتب التاريخ ، والرحلات التي سبقته إليها وخاصة الثقاة منهم، أمثال القزويني والمقريزي، والطبري، والذهبي، وابن جبير، وجلال زاده، وصولوق زاده ، والأطلس الصغير . ثم يدعم هذا كله بالرجوع إلى القوانين والسجلات، وكتب المناقب: وسجلات الولايات: ودفاترها، وميزانياتها. وقد ، كان يستخدم أساليب عصره في القياس ، فما أن يمر بجامع ، أو قلعة حتى يحصى الأبواب والأدوار والمخازن ويقيس بالخطوة والذراع كل ما يصادفه من آثار وأطلال[1].

فنراه في زيارته للمدينة يتوقف طويلاً أمام الأماكن والمزارات ، وأوصاف الزيارة وآدابها انطلاقا من بعد عقدي صحيح ، ويتأمل أطوار المدينة ، وأشكال قلعتها ، والروضة المطهرة ، والقبر النبوي الشريف وسرعان ما يلوذ بالبعد التاريخي ليعالج به حديثه عن تلك المؤامرة البابوية الخبيثة لسرقة جسد النبي ﷺ وإيداعه في روما

(١) الرحلة الحجازية : لأوليا جلبي ، ص٦٨ .

ودحض " نور الدين محمود زنكي " لهذه المؤامرة ثم شــروعه فــي بناء الروضة المطهرة لسيد العالم وفخر الكائنات " محمد بن عبد الله " ﷺ " وتأمينها ضد عوادي الزمن !!

ولأنه المحب العاشق لكل ما يتصل بحبيبه المصــطفى ﷺ ، أو لأن المدينة المنورة هي الأخرى قد ملكت عليه فؤاده ورؤاه السردية لم يشأ أن يترك شيئاً قريباً منها ، أو يتعلق بسيرتها العطرة وســيرة ساكنها الحبيب فوقف على حدود أماكن الزيارة والعبادة التــي تقــع خارج المدينة، كالبقيع ومسجد قباء ، وقبر سيد الشهداء حمزة بــن عبد المطلب (ﷺ) وحديقة صوقوللي التي أسلمته لوصــف أشــجار الفاكهة التي تكثر في المدينة ، والحديث عن تمر المدينــة ومكانتــه بين التمور .

وكلها محطات إيمانية أضاف بها الرحالــة "أوليــاجلبي " بعــداً جديداً وملمحاً تراثياً إنسانياً لمجتمع المدينة المنورة المتجدد دائمــاً وإن احتفظ بأصوله وروحانيته . لاسيما وقــد جــاء هــذا الوصــف السردي على لسان مستشرق !! يكتب بلغة قومه لا باللغة العربية . مشاهد ومحطات ورؤى جديرة بالبحث والمناقشة للوقوف على أهــم أبعاد هذه الرحلة وأسلوبها ، وهي مناقشة ليست من بــاب التقيــيم لهذه الرحلة بقدر ما هي إبراز لفاعليتها بوصفها تراثاً إنسانياً نحــن أحوج ما نكون إليه اليوم في حاضرنا والعودة إليه أصبحت ضرورة عبر قراءات عصرية ومطالعات متنوعــة وطــرح متبــاين الــرؤى والمعالجة .. لفهم أفضل المقومات الحياة العربية الإسلامية الأصيلة من خلال متصل من الماضي إلى الحاضر .

ذلك أن تراثنا غنى في الكيفية ، غنى في الكمية ، غنــى فــي معجزاته الفريدة المتمثلة في ضروبه المختلفة التي لم تتكرر في عالم التأليف إلى الأبد . مما يؤكد ضرورة إحياء هــذا التــراث الإنســاني

الخالد لتقديمه إلى ناشئة اليوم وفاء لماضينا/ تراثنا، ودعماً لمستقبلنا الثقافي المرتقب بما نظفر به من كل ممتع عجيب من هذا الإرث الثر بعد إمعان النظر فيه جلياً وإحقاق الاعتزاز به ، وتفعيل الانطلاق إلى المعاصرة من رياضه الغن(١).

وأول ما يلفت النظر في هذه الرحلة تلك اللهفة التي سيطرت على "أولياجلبي " للحلول في النور المدني مجرد أن وصل وادي الاستقبال قبيل المدينة واستشعر عبق الحرم النبوي وروضته المطهرة واستشراف سحابات الإشراقات المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم . ولم لا ؟ !

فهنا..خطاه على الثرى وضاءة ∴ تهب الحياة صلابة الأوتاد(٢)

حيث التقى "أولياجلبي " وفود المدينة الذين استقبلوه وضيوف الرحمن من أهل الشام بالهدايا والحبور فراح يستشرف النور المحمدي في وجوه أهل طيبة النورانيين أصحاب الوجوه المشرقة ، والعيون الكحيلة ، والسواعد الفتيه . وذلك عبر وصف دقيق صادق ينم عن شدة شوق ذلكم الرحالة إلى دار الهجرة وإلى معانقة الشخصية المدنية التي لم تحد عن الطريق الذي رسمه لها الحبيب ﷺ والتزمت به منهجاً وحياة ..

---

(١) الحديث عن التراث وإحيائه حديث طويل ، لكن المقام هنا لا يقتضيه ، فمن أراد المزيد عنه فليرجع إلى : التراث العربي : عبدالسلام هارون ط دار المعارف . مصر ١٩٧٨م . وهو كتاب على الرغم من ضآلة حجمه إلا أنه قدم الكثير والكثير عن التراث وتاريخ الكلمة ودورانها في المعاجم ، ومعناها في المعاصرة وضرورة الإيمان بالتراث وأهميته في حياة الأمم المتحضرة المتقدمة .

(٢) العمر والريح: شعر د/ صابر عبدالدايم. من قصيدته "الميلاد" ط أولى الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م٠

حيث يقول :-

" وقد قدم كل أعيان المدينة وجاء وجهاؤها ومطوفوها ومرشدوها مع أهالي المنطقة[1] – لاستقبال الموكب وكانوا جميعاً يرتدون ملابس بيضاء وجوههم نورانية، تعلو البسمة شفاهم. عيونهم حورية كحيلة في صوتهم رقة، وعذوبة، تبدو عليهم علامات الصحة أشداء قدموا مهللين، فرحين، وقد حملوا هداياهم[2].

والمتأمل في القطعة الأدبية السابقة في بعدها السردي ، ووصفها التصويري الدقيق يلحظ تأثر صاحبها في لغته وتصويره بالبيان القرآني فهي تنظر في بنائها الفني في أسلوبها وفكرتها وصورها التي قامت عليها إلى ملامح أصحاب النبي (ﷺ) كما وصفتهم الآية الكريمة في قول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [3] وهو ما يعكس ثقافة هذا الرحالة وسمات أسلوبه ومنهجه الذي اتضح بعض الشيء هنا ، ورؤيته في الوصف والكتابة وغير ذلك مما نرجعه إلى حفظه لكتاب الله تعالى في فترة مبكرة من حياته ، والذي صقل أسلوبه وتعبيره الأدبي ، وأعطاه بعداً تصويرياً واعياً وهو يحكي مشاهداته التي وقف على حدودها في هذه الرحلة المباركة وأفاد في تحديد رؤيته الإيمانية

---

(١) وتسمى هذه المنطقة " دار خازن " وجميع الجبال الممتدة من الشام حتى هذه المنطقة ، جبال ملساء ، جرداء ، عارية من الغابات ، أو الأشجار ، ولما كان أهلها جميعاً يستقبلون أهل المدينة فيها والجميع يستقبل الحجاج سميت " وادي الاستقبال . للمزيد عند هذه المنطقة راجع : الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ، ص١٠٥ م٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠٥ ٠

(٣) سورة الفتح : من الآية (٢٩) .

الروحية التي جاءت عليها رحلته . وفي الوقت ذاته تحديد ما كان يستوقف " أوليا في كل مشاهداته التي سعى إليها في المدينة المسكينة كما سنرى .

ذلك أن الملاحظ لرؤى " جلبي " المشهدية في طيبة الطيبة يجدها تبني على مقصدية أولية اتسمت بها رحلته التي معنا – حتى من بداية منطلق الرحلة الذي كشف شدة تعلق " أولياجلبي " بالمنطلق لكن الرغبة في زيارة بلاد الحجاز ببقاعها المقدسة ، ورؤية محل سكني الرسول ﷺ. كانت أقوى وأشد من أي تعلق آخر – إنها المقصدية " الإيمانية " التي جعلها مرتكزاً رئيساً في مضمون مشاهداته التي راحت تستقصي وتبحث عن العبق الإسلامي في تاريخه ، وأمكنته ، ومواقفه ، ومزاراته ، وعتباته مما ترجمته هذه الزيارة .

ومن مظاهر تلك المقصدية الإيمانية ما جاء من سرد لأوليا عقب ما كان من اتفاق بين الوزير حسين باشا قائد الحملة المكلفة بحماية قافلة حجاج الشام حتى الكعبة المشرفة – ومشايخ القبائل العربية إبان الاستعداد لانطلاق الرحلة وهطلت الأمطار وقتها على الحجيج. .

يقول : أوليا " : " صادق الجميع على ما قاله الباشا . قرأت الفاتحة وعاد قسم من الحجاج ، وشاء القدير العليم أن يستمر سقوط المطر والثلج طوال هذا اليوم وهذه الليلة أيضاً ، فلجأت معظم الحيوانات إلى القرى المجاورة للاحتماء فيها وأعادها القرويون إلى أصحابها . وقد أمر الباشا بالابتهال إلى الله لرفع ذلك البلاء بقراءة سورة الإخلاص مائة ألف مرة والصلوات على النبي المصطفى مائتي

ألف مرة والأنعام الشريفة ألف مرة . وشاء الله أن هدأت السماء وأطلت الشمس بنورها[١]" .

ومن مظاهر المقصدية الإيمانية عند " أوليا " أيضاً قوله وهو يتحدث عن آداب الروضة المطهرة حين زيارتها .

" أما عن آداب الزيارة ، فعليك إذا ما أردت أن تؤديها أن تغتسل متطهراً وترتدي الملابس الطاهرة النظيفة . وأن تتمسح بالطيب الزكي الرائحة وأن تتجه بالقلب والروح والفؤاد معاً في التوسل والدعاء . كن متأدباً وأنت في حضرة المصطفى فكيف تكون وأنت ماثل بين يدي السلطان، أو ملك دنيوي فيجب عليك أن تكون في وجل، وخجل، وتأدب، يزيد عن ذلك ألف مرة ، لأنه عليه السلام لم يمت إنما غير الدنيا فقط[٢]. فقد سمع صوته الرخيم من قبره المبارك كثيراً "[٣].

ويأتي في إطار هذا المنهج قول " أوليا " عند زيارة مقام أهل العرفان : " عليك أيها الزائر أن تقرأ الفاتحة بجوار هذا المقام على

---

(١) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ص ٧٩ .

(٢) الغسل والتطهر وارتداء الملابس النظيفة والتمسح بالطيب والاتجاه بالقلب والروح والتأدب . كل ذلك نوافق عليه ونؤمن به عند زيارة الحبيب (ﷺ) لكن الذي لا نرتضيه ولا نوافق عليه (أوليا) هناك ذلك الجنوح العقدي منه عن جادة الصواب الإيماني وقوله بأن الرسول لم يمت !! وهو مخالف لقول الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم من سورة الزمر: أية (٣٠) " إنك ميت وإنهم ميتون" ستموت (تنبيه على أنه لا بد لكل واحد من الموت، كما قيل: والموت حتم في رقاب العباد) راجع هنا: تفسير وبيان القرآن مع أسباب النزول للسيوطي: للدكتور/ محمد حسن الحمضي ص ٤٦١ ط الرشيد – دمشق بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ص ١٢٦ .

أرواح أهل العلم والعرفان. ثم توزع الصدقات سراً على الفقراء والمحتاجين الجالسين بجواره"[١].

وكثيراً ما غلفت هذه المقصدية العديد من الرحلات التي انطلقت من موطن كتابها متجهه نحو النور في بلاد الحجاز . لاسيما " وقد كانت الحجاز (مكة والمدينة) دائماً أو في الغالب المقصد الأول للعديد من الرحلات . ومعقد الغاية ومحط الأمل في التقرب إلى الله بزيارة الحرمين الشريفين وأداء فريضة الحج ، حتى جاء طابعها دينياً في المرتكز والرؤية ولذلك كانت الوقفة في هذا المكان الأوفى والأطول عند الكثير من الرحالة المسلمين على وجه الخصوص[٢].

فمع فريضة الحج التي أوجبها الله على المسلمين كافة لمن استطاع إليه سبيلاً ، تحولت (مكة المكرمة والمدينة المنورة) إلى أكبر وأعظم مكان ومركز في العالم يجتمع فيه الناس وهذا الاجتماع الذي يتحقق في الحج بهذا العدد الكمي من الناس، وبهذا التنوع الإنساني ليس له مثيل في تاريخ الأمم والحضارات السالفة والمعاصرة .

والحقل الدلالي لهذا الاجتماع ، فيه من التأمل والثراء ما يثير الدهشة والعظمة، فقد تحول هذا المكان من واد غير ذي زرع ، إلى مكان تهوى إليه أفئدة الناس ، ويأتونه رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢٨ .
(٢) مجلة الأدب الإسلامي : العدد (٤٦) سنة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م ص ٢٤ .

والذي لا شك فيه أن هذا الاختيار لذلك المكان كان مقصوداً من لدن حكيم خبير ، ومن وراء هذا القصد هناك حكمة متعالية جعلت من اختيار هذا المكان ، ليكون تأسيساً لمركزية لها طبيعة تغاير المركزيات الأخرى البائدة والسائدة واللاحقة . بل اختيار يراد منه الإعلان عن مركزية لها طبيعة عالمية تشمل الناس كافة ، وتمتد بين الأزمنة والعصور . ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1]. فيتحول المكان على أثر ذلك الاختيار الإلهي إلى قبلة للناس كافة . فاتحة لعصر جديد في تاريخ البشرية متجدد بدلالاته الجمعية خاصة مع فريضة الحج بتجلياتها وعطاءاتها المتباينة . فقد نشأت عن هذه الفريضة ، طرق عرفت بطرق الحج لتعدد اتجاهاته وأصبح المسلمون يسلكون هذه الطرق بكل اتجاهاتها ذهاباً وإياباً من أي مكان كانوا في العالم ، وعدت هذه الطرق من طرق الحضارة الإسلامية وأصبحت جزءاً من جغرافيتها واكتسب المزيد من الأهمية والحيوية مع مرور الوقت[2] .

وقد استرعت هذه الطرق انتباه العديد من الباحثين والرحالة ، ومن هؤلاء ابن بطوطة كما يقول المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي ، الذي قام بتحقيق رحلات ابن بطوطة في خمسة مجلدات ، حيث وصف كل مركز تمر عليه القافلة المتجهة إلى الحجاز بأنه كان بيئة علمية ورحابة ثقافية واسعة. مؤكداً أن ابن بطوطة يعود إليه

(١) سورة إبراهيم : آية (٣٧) .
(٢) للمزيد حول مركزية المكان (الحرمين) وكيف تشكلت وتجلت في الثقافة العربية الإسلامية . يراجع هنا
– نحن والثقافة : زكى الميلاد من ص٩٠ إلى ص١٠٢ . ط أولى – مؤسسة اليمامة الصحفية – كتاب الرياض ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م

الفضل في لفت الانتباه لتلك الطرق وما أدته من دور مهم في التقاء وتحاور الثقافات المتعددة(١) . وهي طرق توقف عندها كثيراً " أوليا جلبي " في رحلته التي معنا ، وفصّلت الحديث عنها على مسامع المؤتمرين في ملتقى العقيق الثقافي بالمدينة المنورة الذي خصص لأدب الرحلات وسعد بهذا التأثر مؤرخنا المغربي الدكتور عبد الهادي التازي الذي كان ضيف الملتقى وأشاد به(٢).

ولا عجب في قولنا بمركزية هذا المكان فحياة الأمة – كما يرى الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال – تتطلب مركزاً محسوساً لها . ومركز الأمة الإسلامية هو البيت الحرام (الحرمان) وقانون ميلاد الأمم يتطلب مركزاً ، والحياة تتجمع حول المركز ، فمن المركز للقوم ارتباطهم وانتظامهم ومن المركز يكون دوام زمانهم(٣). ومن مكانته تكون وقفاتهم وأحاديثهم .

ومن ثم جاء الحديث عن فضائل هذا المكان ، ومكانته الإسلامية يحمل قيماً روحية سامية ودلالات تاريخية ، وترميزات تراثية ، مما أضفى عليه جمالية خاصة في ظواهر منوعة . فالتراسل بين المشاعر وقدسية المكان ظاهرة في هذه الرحلة ، إذ إن التعبير عن الأحاسيس المفعمة بالروحانية وصفاء الإيمان ، والتي تحدوها تلك الرغبة العارمة وذلك الشوق المتأجج إلى أشرف وأطهر وأقدس مكان على ظهر البسيطة ، بمشاهده ومناسكه وعتباته النورانية،

---

(١) مجلة الحج والعمرة : العدد السابع . رمضان ١٤٢٣ هـ – نوفمبر ديسمبر ٢٠٠٢م ص٢٣ حوار مع المؤرخ الدكتور عبد الهادي التازي .

(٢) ملتقى العقيق الثقافي: الدورة الثالثة ١٠/١٢/ جمادي الأولى ١٤٣٠ هـ .

(٣) محمد إقبال فكره الديني والفلسفي : محمد العربي بو عزيز ص٤٨٤ ط دار الفكر – دمشق ١٩٩٩م .

وتجلياته الإيمانية التي تبوح بالكثير من المعاني الروحية، والحكم الربانية ، والأسرار والرموز – جاء متساوقاً وعظمة المكان فالدعاء والتوسل والتأدب أو السير الهوينى وانهمار الدموع والاستغفار والصلاة ذات صدى خاص واستشعار مميز يبرز في وضوح المرتكز والرؤية لرحلة الرحالة " أوليا جلبي " والذي كشف عنها في قوله : "ما أن تطأ قدماك الجامع النبوي الشريف من باب السلام . وما أن تتراءى لك قضبان المقصورة ، عليك عندئذ أن تسير الهوينى .. وأن تردد بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[1].ضع يديك على صدرك ، وعند اقترابك من المقصورة، اقرأ قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[2] .. وانحن قائلاً : " السلام عليك يا رسول الله ، وتقدم رويداً ، رويداً ، داعياً متوسلاً ، ولا تحبس دموعك الجائشة إن انهمرت .. وعندما تصل إلى المقصورة . اقرأ السلام قائلاً : " السلام عليك يا رسول الله .. السلام عليك يا نبي الله . استغفر ، ادع ، توجه بالدعوة والتوبة ، والتوسل وأنت تمسح على وجهك بكلتى يديك[3]" ..

والنص السابق يجسد كما نرى عطاءات من التراسل الإيماني الصادق بين مشاعر الرحالة " أوليا جلبي " وقدسية المكان . وهو وإن لم يظهر لنا مشاعره بوضوح مثلما أظهرها صراحة الرحالة "ممتاز مفتي" عند سماعه للأذان في الحرم لأول مرة في حياته – حينما قال :

(١) سورة الإسراء : من الآية (٨٠) .
(٢) سورة الأحزاب : من الآية (٥٦) .
(٣) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ، ص ١٢٦ .

" حين سمعت الأذان لأول مرة ، وأنا جالس في الحرم ، شعرت بهزة في داخلي .. ما هذا الشيء ؟ قفزت من موضعي ، أحسست كأنني اسمع الأذان لأول مرة في حياتي، لقد هزني الأذان هزاً شديداً، ونهضت واقفاً وتسمرت في مكاني .. من ذا الذي نادانى[1]" – إلا أنه بسرده السابق قد أعطى المكان الجليل حقه وأبرز سموه وقدره بعد أن عايشه وسعد بالتجوال في أركانه والوقوف على أعتابه، والحلول في فيض أنواره وبركاته ..

كاشفاً في وضوح حقيقته وقدسيته . وجلاله – وهو عروس المساجد – ومكانة ساكنه الحبيب ﷺ مؤكداً أن على المسلم أن يتمسك بهذه الآداب ويتخلق بهذا السلوك القويم الذي فصل القول حوله " أوليا " بعد أن تشبع بفيوضاته فتمنى لكل محب عاشق / زائر لطب القلوبﷺ أن يلتزم بآداب المحبة ، وآداب العقيدة مما استوقف رحالتنا مرة ثانية فيقول : عليك وأنت مقبل على زيارة الحرم النبوي " أن تغتسل متطهراً ، وترتدي الملابس الطاهرة النظيفة ، وأن تتمسح بالطيب الزكي الرائحة ، وأن تتجه بالقلب ، والروح والفؤاد معاً في التوسل والدعاء ، كن متأدباً في حضرة المصطفى ، كن وجلاً كن خجلاً .. [2]

وهو هنا يؤكد على ضرورة ووجوب تأدب المحب وهو في حضرة النبي ﷺ وربما يشير بهذا السرد الحيي من طرف خفي إلى بعض الأمور التي تحدث من بعض المسلمين الزائرين للحبيب ﷺ نتيجة هذه المحبة الشديدة أو نار العشق المحمدي المتأججة في

(١) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : د/ سمير عبدالحميد نوح ، ص ٤١٣ ، الناشر / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م .
(٢) الرحلة الحجازية : " أوليا جلبي " ، ص ١٢٦ .

قلوبهم مما يفتح – دون أن يدري – كما يقال : باب البدع مما يخشى عليهم من أن تحبط أعمالهم . خاصة وأن القرآن الكريم خط للمؤمنين آداب الزيارة بوضوح جلي في قوله الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (١).

وأرى أن السرد الإيماني السابق لأوليا جلبي حول آداب المحبة وآداب الحضرة المحمدية – قد جاء متأثراً إلى حد كبير بالرحالة المسلم " ابن جبير الأندلسي(٢) . حينما وصل إلى الحبيبة طيبة الطيبة ، وحضر للسلام على الحبيب المصطفى ﷺوعبر بطريقته الخاصة شعراً ، اختار له بحراً عروضياً (٣) نقل صدق شعوره ، ومدى تلهفه

---

(١) سورة الحجرات : آية (٢) .

(٢) أبو الحسين محمد بن جبير الكناني (٥٤٠ – ٦١٤ هـ) أشهر الرحالة الأندلسيين ، ولد في بلنسية . وتلقي علومه في مدن شرق الأندلس واستقر كاتباً عند حاكم غرناطة : أبي سعيد بن عبد المؤمن الموحدي . وهو كاتب ديوان له مكانته ، مترسل ،وأديب شاعر ، وفقيه من أهل العلم . ينظر هنا للمزيد :

– في الأدب الأندلسي : د / محمد رضوان الداية ص٢٧٠ وما بعدها . ط أولى – دار الفكر – دمشق ١٤٢١ – ٢٠٠٠ .

– ورحلة ابن جبير " رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك " . المقدمة . نشر – دار ومكتبة الهلال – بيروت – لبنان ١٩٨١ . في النقد التطبيقي : د: عماد الدين خليل : صـ ٩٤ وما يعدها ط أولى ــ العبيكان ــ الرياض ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

(٣) بحر المتقارب التام (فعولن) الذي وفق ابن جبير في اختياره لنقل شعوره الصادق وشدة شوقه لملاقاة الحبيب ، فهو بحر " يصلح لمثل هذه التجارب الجادة التي تسرع فيها الخطى وتتدفق فيها العواطف أكثر من صلاحه لمواطن الرفق واللين. راجع:

للقاء الحبيبﷺ متكئاً على قافية مفتوحة نحو النور المحمدي ، ومردوفة موصولة الألف تستشرف في إطلاقها الرفعة والسمو والعلياء والعزة والشرف بلقاء رسول الله ﷺ فيقول :

وحين دنونا لغرض السلام ∴ قصرنا الخطى ولزمنا الوقارا[1]

وعندما اقترب لأداء السلام ، أبطأ من سيره (سار الهوينى) كما عبر "أوليا" وأمسك بزمام الوقار والأدب .. وقال :

فما نرسل اللحظ إلا اختلاساً ∴ ولا نرفع الطرف إلا انكساراً

والآن وقد تعثرت الأقدام ، والتصقت بالأرض أمام قبر النبي ﷺ، ووقعت العيون هي الأخرى على الأرض ، فلننظر من الشباك هنا وهناك ولنتفرس المقصورة علنا نصل ، لكن الرجل الذي تأدب بآداب المحبة وآداب العقيدة لم يرفع ناظريه تأدباً وخشية وخجلاً ووجلاً :

ولا نظهر الوجد إلا اكتتاماً ∴ ولا نلفظ القول إلا سراراً

فالصمت في هذا المقام أوفى ، والسكوت أنجى من رفع الصوت وإظهار الوجد ، والتعبير عن الشوق ، وما يقال هنا يجب أن يقال بتأدب وخشوع وخجل بصوت خافت لا يعلو في حضرة النبي الكريم ﷺ:

سوى أننا لم نطق أعيناً ∴ بأدمعها غلبتنا الفجارا

والإبداع السابق الذي عبر به ابن جبير الأندلسي على طريقته الخاصة[2] هو نموذج بليغ ممتع صادق لتأثر رجل عاشق متأدب ،

– النص الأدبي المعاصر – الرسالة القضية: د/ علي عبدالوهاب مطاوع ص١٤ النادي الأدبي – حائل – السعودية – ربيع الأول ١٤٣٠ هـ .

(١) البيت مكسور الشطر الأول ، ولكي يستقيم الوزن يقال فيه : وحين دنونا لأجل السلام ..... الخ آخر البيت .

(٢) للمزيد عن ابن جبير في هذا الموضوع يراجع : شهور في ديار العرب : مسعود عالم الندوى ص ٥٢٢ وما بعدها .

ذاب عشقاً سامياً في حبيبه المصطفى ﷺ ومن ثم كُتب له الخلود حتى اليوم، والقبول والتأثر به، ومحاكاته من كل من يطلع عليه كالحسين الورثلاني[١] " في رحلته " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية [٢]،وأبي راس الناصر المعسكري[٣] في رحلته " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "[٤] وهما رحلتان كان الغرض منهما زيارة الحجاز والقيام بفريضتي الحج والعمرة وقد ضما في متنهما العديد من البرامج السردية التي أدخلتهما في فن أدب الرحلات[٥].

---

(١) الحسين بن محمد الورثلاني الذي ولد ببني ورثلان ، ببلاد القبائل الكبرى بالجزائر ١١٢٥ هـ ١٧١٣ م . وهو من أعلام القرن الثاني عشر المشهورين ، إذ نبع في العلوم الشرعية ، وفي دراسة الأدب والتاريخ وله تأليف كثيرة في هذه المعارف . راجع هنا : مجلة العرب : مجلد (٤٣،٤) السنة (٤٥) ص١٨٠ عدد : رمضان وشوال ١٤٣٠ هـ سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٩م – نشر دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع – الرياض – السعودية .

(٢) تقديم : محمد بن أبي شنب ، ط مطبعة بييرفونتانة الشرقية – الجزائر ١٩٠٨ م٠

(٣) محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن الناصر المعسكري ، ولد سنة ١١٥٠ هـ – ١٧٥٧ بجبل كرسوط بالغرب الجزائري ، اشتغل بتعليم الفقه بمازونة ، ومعسكر ، ثم ارتحل إلى المشرق عام ١٢٠٤ هـ واشتهر هناك بعلمه الواسع وكثرة حفظه . راجع : مجلة العرب : مجلد (٤٣,) السنة (٤٥) ص ١٨٠ .

(٤) تقديم : محمد بن عبد الكريم الجزائري . ط المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر ١٩٩٠ م .

(٥) راجع هنا للمزيد : " الخطاب الرحلي والسيمياء السردية من قراءة في رحلتي الحسين الورثلاني ومحمد أبي راس الحجازتين : د/سميرة أنساعد . مجلة العرب : مجلد (٤٣،٤) السنة (٤٥) ص١٥٣ وما بعدها .

ولا عجب في هذا الشوق وذلك العشق للحبيب المصطفى ﷺ وديارة المحبوبة الطاهرة الطيبة . وإذا كانت المدينة أحب بقاع الأرض إلى الله (سبحانه وتعالى) .. فأي أرض سواها إذن نحب وتنجذب إليها قلوبنا ؟ ! وإذا كانت المدينة موطن نبينا .. أحب الخلق إلى الله تبارك وتعالى . فمن سواها نحب ونعشق ونهيم ونتبع ؟ !! لكن العجب كل العجب في هذا العشق غير الإنساني . من الحيوانات للمدينة المنورة بمآذنها وقبابها وفيض أنوار حرمها ، وسمو رفعته ومكانته والذي نقله لنا " أولياجلبي" في هذه الصورة البديعة حينما اقترب من المدينة ، ولاحت للقافلة – في الأفق– أنوارها المباركة حيث يقول :

" والطريف أنه ما إن رأى الحجيج قبة المسجد النبوي – على ساكنه أفضل الصلاة وأزكى التسليم – من أعلى ، وما أن بدأوا جميعاً في التهليل والتكبير والدعاء حتى بدأت البعير في البعبعة والهدير ، والخيول في الصهيل والبغال والحمير في النهيق ، حتى أنه لم يعد بالإمكان السيطرة عليها بسهولة ، بعدما كانت فيه من الإنهاك والتعب فأخذت تسرع الخطى ، بل وتهرول نحو المدينة[1] ..

ولا ريب في ذلك الحنين ، وتلك السعادة التي ظهرت عليها هذه الدواب حينما تنسمت أنوار الحرم النبوي وهالهم سموه ورفعته ..

" شامخ كالحقيقة منطلقاً نحو حضن السماء .. "[2]

---

(١) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ص ١٠٨ .

(٢) باتجاه الشمس : شعر أبوالفرج عبدالرحيم عسيلان من قصيدته (المسجد النبوي) ط أولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م . إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي .

أقول : لا ريب في ذلك الحنين ، وتلك السعادة التي ظهرت عليها دواب "أوليا" وقد حن الجزع إليه ﷺ، واهتز " أحد "[1] عندما صعد عليه مع صاحبيه الصديق وعمر .. رضي الله تعالى عنهما . "والبراق" قد انحنى وخضع بين يديه ﷺ ليمتطيه في رحلة المعراج إلى عالم الملكوت..فكيف لا تحن هذه الدواب إلى نسمات الحبيبﷺ؟!!

وما أدراكم بلغة هذه الدواب في ذلك الحنين وإعلان سعادتها حينما تعانقت بطيبة الطيبة؟.. إنها تسابيح – والله تعالى أعلم – وتضرع إلى خالقها الأعظم بأنْ منّ عليها بهذه النعمة العظيمة ودبت على أحب البقاع إلى الله، وفازت بأنوارها، وتنسمت أريج حبيبها .. والله تعالى يقول : ﴿.. وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [2].

ويحمد لهذا الكاتب "أولياجلبي" مثل هذا المرتكز الإيماني الذي ألح عليه كثيراً في رحلته هذه، وهو الذي جاء فيها مسكوناً بهاجس النور/ الإيمان، جاعلاً من شوقه إلى هذه الديار الطاهرة وساكنها ﷺ وسلم قيمة كبيرة من قيم التوحد الكوني بين المخلوقات، فأبرز لنا شعور هذه الدواب التي حملتهم من الشام إلى الأراضي المقدسة حيث الحرمين الشريفين في وضوح تام عبر وصف دقيق وسرد محكم. ونقل بكل صدق وتعبير فنيين حالتها حينما رأت أنوار ربي بالحرم النبوي وجهاً لوجهٍ، وأظهرها في وعيٍ، وإدراك وفهم لإيمانه

(١) اسم جبل من جبال المدينة . وقد قال فيه ﷺ : " إن أحداً جبل يحبنا ونحبه ... " سنن ابن ماجه : مجلد (٢) ص ١٠٤٠ – كتاب المناسك – باب فضل المدينة. تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي . ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – بدون ٠

(٢) سورة الإسراء : من الآية (٤٤) .

الشديد- وهو الذي شرح الله صدره بالقرآن- بأن كل شيء في هذا الوجود يسبح بحمد الله بلغته الخاصة أو إشاراته التي لا يعلمها إلا الخالق سبحانه وتعالى﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[1].

ومثل هذا الاتجاه – من السياحة الإيمانية في ملكوت الله- نجد صداه اليوم في شعر عربي أصيل، يحمل كثيراً من الرؤى الإيمانية، مؤكداً فيه شاعره حقيقة خلود ذلك المرتكز الإيماني الذي ألح عليه "أولياجلبي" في رحلته، وتجذره في أنفاس هذا الكون بمخلوقاته المتباينة التي تشهد – بلا شك- بوحدانية الله الخالق، وتسبح كلها باسمه سبحانه وتعالى. وهو ما أقام عليه شاعر الأزهر[2] تجربته التي أطلق عليها الشاعر السعودي محمد بخيت الزهراني لقب " تاج القصائد"[3] .. حيث يقول الدكتور صابر عبد الدايم من هذه التجربة "القبو الزجاجي.. رسالة إلى محمد الفاتح قائد الفتوح الإسلامية في "البلقان"[4].

---

(١) سورة الإسراء : من الآية (٤٤) .

(٢) هو الشاعر المصري الأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم يونس عميد كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر . والذي عرف بتجاربه الشعرية المتوهجة المتألمة الآسية التي ينطلق في أكثرها من ذلك الهم الإسلامي الإنساني الذي يعيشه اليوم ونراه في دواوينه الشعرية: المسافر في سنبلات الزمن، الحلم والسفر والتحول، المرايا وزهرة النار، مدائن الفجر، العمر والريح . ونلمسه جيداً في تجاربه العالمية الأخيرة: أشواق حجازية الإيقاع ، العهدة العمرية .. قراءة عصرية، الشهيد والسلام الذبيح، القبو الزجاجي.

(٣) العصف والريحان .. حوارات ومواجهات مع د/ صابر عبدالدايم : إعداد وتقديم د/ حسين على محمد ، ص ١٢٧ ، ط ١ ، أصوات معاصرة – سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

(٤) كتب الشاعر هذه القصيدة في رحاب مكة المكرمة في ١٠ من رمضان سنة ١٤١٥هـ ، الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٩٥م.=

أيها الفاتح .. إنا .. قد فتحنا لك فتحا..
كان .. بالحق .. مبينا "..
وأبو أيوب فوق الشُور ما زال يكبر.
الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر
غلب الروم .. وأشجار الفتوحات تهلل
والنواقيس تلاشت
والجياد الصافنات المؤمنات
في ميادين الوغى تصهل .. بالفتح تحمحم.
وعلى الشاطئ تختال المآذن....
وتصلي وتسلّم
إنه الماء يسبّح
والنجيمات تسبّح
والفنارات تسبّح
والمجاديف تسبّح
إنه الله .. فسبّح باسم ربك
إنه حامي الحمى حارس دربك.

ولم يقف "أوليا جلبي" عند حدود آداب المحبة وآداب الحضــرة المحمدية ومشاهداته إبان زيارته الروضة المطهرة التي وصل إليها بعد زحف مضنٍ وسط حشود غفيرة على حد وصفه الذي يقول فيه:

=وألقاها شاعرنا في العاصمة التركية "استانبول" وتلقتها العديد من الإذاعات والمجلات العربية، حيث نشرتها مجلة: المشكاة بالمغرب، ومجلة المنتدى بالسعودية، ومجلة الأدب الإسلامي، كمــا حظيــت بدراسات متعددة من النقاد والمهتمين بالشعر العربي الأصيل.

– أنظر القصيدة كاملة في ديوان الشاعر : العمر والريح ، ص ٣٢ – ٤٤ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ٢٠٠٧م.

" وبعد اغتسالي وتطهري وتطيبي ..خرجت من الخيمة متجهاً نحو قلعة المدينة ، من باب مصر، وأنا أردد الدعاء العظيم ﴿.. وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (١) ثم دلفت إلى المسجد النبوي من باب السلام ، ثم بدأت أزحف، وسط الحشد الغفير، حتى وصلت إلى المقصورة النبوية فلثمتها ، ثم ركعت على ركبتي محيياً، "السلام عليك يا رسول الله" ، وقد استغرقت في ابتهالاتي، وما أن عدت إلى نفسي أو عادت إلى نفسي، حتى حاولت أن أشق طريقي، وسط هذا الزحام المحبب إلى النفس(٢)". لم يقف أوليا عند هذا الحد ، بل راح يفتش في رحلته التي معنا عن عظمة المكان وعبقه الإيماني أو التاريخي أو البطولي مؤكداً فاعلية المكان وحضوره الجمالي أو الإيماني أو التاريخي في هذه الرحلة كما نرى في هذا الوصف الدقيق الممتع للروضة المطهرة من الداخل وهو وصف ينخلع له القلب.

" لقد تيسر لي أنا العبد الفقير إلى ربه الدخول إلى داخل الروضة المطهرة مع وليّ النعمة حسين باشا(٣) . ولقد ارتديا ملابس طاهرة، نظيفة ، حلالاً ، وكنا نردد في خشوع وبهجة الصلوات الطيبات على فخر الكائنات. وقد أقبل شيخ الحرم، وفي معيته ثنتا

(١) سورة الإسراء : من الآية (٨٠) .
(٢) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ص ١١٢ .
(٣) حسين باشا : والى الشام ، وقائد حاميتها خلال موسم الحج سنة ١٠٨١هـ = ١٦٧١م ، وجاء تعيينه عقب القلاقل التي عمت مكة في المواسم السابقة ، ووضع تحت إمرته ثمانية آلاف جندي ، وكان قائداً شديد المراس .. تعامل بشدة مع البدو والأعراب مما أدى إلى هدوء موسم الحج. وعمل على تحسين العلاقة مع شريف مكة لتهدئة الأوضاع خلال هذا الموسم.

عشر طواشيا[1] وهم يحملون المباخر ، ومراود الطيب، واصطفوا أمام المقصورة النبوية. وقام شيخ الحرم بلف حسين باشا بفوطة بيضاء، ثم سلَّمه مكنسته ، وكنا- والعبد الفقير- سبعة أشخاص وكل منا معه مكنسة وناب شيخ الحرم عن السلطان، وأخذ هو الآخر مكنسة في يده. وفتح باب المقصورة، ودخل الإثنا عشر طواشيا، ثم أغلقوا الباب ، ولم يسمح لأي إنسان آخر بالولوج إلى الداخل .

وكانوا يرددون عند دخولهم " دستور يا بنت رسول الله" أي الإذن يا بنت رسول الله حيث إنه لا بد من المرور من جوارها، عند التوجه إلى مقصورة النبي الكريم ﷺ.

قبّل الباشا[2] والعبد الحقير ، الأرض بين يدي خير الكائنات طالبين الشفاعة. ثم بدأنا في تنظيف المكان . وكان مجموع الذين في داخل المقصورة قد أصبح خمسة عشر فرداً . ولكني أنا العبد الفقير، فقد فقدت الوعي، وجاشت روحي من العشق والجوى، وكنت كلما عدت إلى نفسي، ووعيت ما حولي ، عدت إلى التوسل بشفاعة الحبيب المصطفى . ثم أشعلت ثلاثة قناديل. وفي وسط القبة الطاهرة، تماماً، تتدلى ناموسية "كِلَّة" رقيقة ، لم تر عيناي لها ، مثيلاً في طول الأرض ، وعرضها سواء من ناحية الإبداع في الصنع أو القيمة .

---

(١) طواشي : مصطلح يستخدم في السرايات والقصور بدلاً من الخادم. وكانت هذه الطائفة تختار من الذكور الذي يتم خصيتهم ، لكي يحال دون قدراتهم على التناسل. وكان زيد بن معاوية أول من استخدم الطواشية في الإسلام ثم تبعه الخلفاء.

(٢) الباشا : لقب كان يمنح لكبار الموظفين في الدولة العثمانية ، سواء من المدنيين أو العسكريين ، وقيل إنها تدل على الشخص الذي ينيبه السلطان العثماني في إدارة أمر ما . وفي بعض فترات التاريخ العثماني تم وقف هذا اللقب على الوزراء، والصدر الأعظم فقط. بعد ما كان يمنح لبعض العلماء والفنيين تعظيما لهم.

ولا يسمح قط بدخول أي أحد تحتها، حيث إن جسد الحبيب المصطفى مسجىّ في صندوق مغطى بجزء من غطاء الكعبة الشريفة الأخضر.

في هذا المكان الطاهر، من المجوهرات، والشمعدانات الذهبية والقناديل ، المرصعة ما لا عين رأت، ولا خطر على عقل بشر، ولا يعرف حصرها أو قيمتها سوى الله سبحانه وتعالى.. ويدخل المسئولون، والخدم، هكذا مرة واحدة كل عام، ليزيلوا ما قد يكون قد علق بهذه التحف النادرة من غبار. وسيدنا أبو بكر، وعمر، راقدان هنا تحت القبة أيضا. أما السيدة فاطمة ، فهي خارج القبة.

وبين الكلَّة المسدولة ، والمقصورة الخارجية ثلاث خطوات ، وقد رُصع هذا المكان بأثمن الأحجار الكريمة، كالعقيق، والفيروز، والزبرجد، والكريستال، والبلور، أو الثريات، ولذلك لم يفرش هذا المكان بالسجاد، أو ما شابه ذلك، أما الكرات الذهبية، والمجوهرات والقناديل المعلقة داخل القبة، من ذلك النوع الذي لا مثيل له، ولم يخطر على عقل بشر، ومن يراها يفقد وعيه، وإدراكه. لم يكن في القبة مكان خالٍ، بل لقد علقوا هذه التحف النادرة، في سلاسل، متدلية، من زوايا القبة. ويمتلئ المكان بالشمعدانات الذهبية الخالصة التي تصل أطوالها قامة الرجل. أما الغطاء المسدول أمام الرسول الكريم، فقد ثبت فيه قطعتان من الماس، إحداهما سبعون قيراطاً، ويعلم الله أنني نظرت إليها ليلاً فإذا القبة قد أنيرت من أشعتها وضيائها. بل يردد البعض،أن بعض الدارسين يقرؤون على نورها.

يصل ارتفاع القبة إلى خمسين ذراعاً، وقد نقشت على أطرافها الآية الكريمة.. قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[1] وهكذا بعد أن تمت الزيارة،استأذنت خارجاً.

(١) سورة النور : من الآية (٣٥) .

وفوق المقصورة نقشت الآية الكريمة ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾(١) ..هذا وقد كتبت أنا _ العبد الفقير _ بالقدر الذي سمحت به قدراتي.

ولم أنس قط، أنني قد كنت ،وأنا في سن الخمسين، وأنا في شبابي- قد قمت بالأذان في رؤياي، وأنا في الحضرة النبوية، وقبلت يديه الكريمتين ﷺ وبشرني عليه السلام قائلاً متفضلاً: "الشفاعة .. الزيارة... السياحة .. الفاتحة .. "(٢).

وتحقق لــ "أوليا" ما تمنى .. من الزيارة ، والسياحة ،وقراءة الفاتحة.. وكانت هذه الرحلة التي تميزت بذلك التحول من المؤثر السياسي الرسمي (من صحبته حسين باشا أمير قافلة الحج آنذاك، كما أشار في وصفه السابق الدقيق للروضة المطهرة من الداخل)- وهو تحول إيجابي في الإبداع . فلم يكن مشغولاً بولي النعم حسين باشا،ولم يكن مشغولاً بالاتصال بحاكم أو أمير أو ملك أو سلطان ، بل كان جل شغله بالنور الذي يحيطه من كل جانب ، وبعظمة وجماليات المكان/ الوجود الحقيقي للأمة.. في جلاله، وسموه، وأنواره، وفيوضاته، وفي عبق تاريخه ومرجعياته التي حدت بهذه الوفود التي انطلقت من كل فج عميق إلى دائرة الوجد الإسلامي طاوية الأرضين لتسعد بالقرب من أحب البقاع إلى الله، وتتوشح بنور صاحب الروضة التي ضمت أطهر جسد، وأكرم نفس، وأشرف مخلوق.. وسيد الخلق أجمعين ﷺ.

ولا شك أن طرح "أولياجلبي" للتاريخ في هذه الرحلة كشف عن دلالات ومرجعيات متباينة، أكدت فاعليته في الحضور طوال

(١) سورة الأعراف : من الآية (٥٧).
(٢) الرحلة الحجازية : أولياجلبي ، ص ١٣١ ، ١٣٢.

السياق السردي الوصفي لهذه الرحلة. مؤكداً في الوقت نفسه أن تاريخ الإسلام متصل بالوجود الإنساني إلى أن يشاء الله، وموصول بالحياة، وفي الحياة ، وهو ما يفسر تلك المؤامرات التي تحاك على مر العصور ضد نبي الأمة وصحبه ورسالته السامية كالتي أشار إليها كاتبنا في هذه المحاولة الفاشلة لسرقة جسد النبي "ﷺ" على عهد نور الدين شهيد[1] يقول "أوليا" :

وعندما تولى "نور الدين شهيد" الحكم ، يقال : إن الملعون عدو الدين المدعو البابا ، قال في أسبانيا: "مهما تكن التضحيات فإننا سنقدم الغالي، والنفيس، وندرب الفدائيين، والمتطوعين اللازمين ، وليذهبوا إلى المدينة ليعيشوا فيها في عزلة عن الناس، ولكن بالقرب من قبر محمد وليقوموا بحفر نفق تحت سطح الأرض. ولنسرق جسد محمد ، ولنحضره إلى روما".

كان البابا الملعون يعرف كثيراً من اللغات . وقد قام فعلاً بإرسال عشرين فدائياً من رجاله، وأتباعه، أولاد السفاح. كانوا جميعاً، وكأنهم من الشياطين الحمر، ذهبوا أولاً إلى مصر، ومنها ركبوا الحمير، ووصلوا إلى المدينة مع الحجاج. قدم عشرة منهم هداياهم إلى شيخ الحرم وقد تدثروا في زى العلماء. فقام شيخ الحرم بتخصيص مكان في الحرم الشريف. أما العشرة الآخرون، فقد ظلوا خارج المدينة، يشتغلون بزخرفة المباني وتكليسها وحمل القمامة.

---

(١) هو نور الدين محمود زنكي ، الملك العادل أبو القاسم بن عماد الدين زنكي . وقد كان نور الدين ملكاً شجاعاً ، عادلاً ، محباً للعلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، سار على منواله صلاح الدين الأيوبي في مصر في بناء الكثير من المدارس والجوامع والمستشفيات. وتوفي نور الدين سنة ٥٦٩هـ ، بعد أن قضى في الحكم ثمان وعشرين سنة اتسمت بالعدل وجلائل الأعمال . أنظر هنا :
– قاموس الأعلام : شمس الدين سامي ٦ / ٤٦٠٧

استمروا ثلاث سنوات في حفر الأرض، وشق نفق تحت أرض المسجد النبوي الشريف، حاملين التراب، والأنقاض في أكياس يبعدونها. وبينما لم يعد بينهم وبين قبر المصطفى سوى ستة أزرع. هناك، في الشام، يرى نور الدين شهيد النبي ﷺ في منامه وهو يخاطبه متفضلاً:

" يا نور الدين .. إن هؤلاء الملاعين يحفرون قبري، ويريدون أن يسرقوا جسدي، لكي يهربونه إلى بلاد الكفر، انهض، والحق بهم" ويريه النبي عليه السلام هؤلاء الملاعين، واحداً، واحداً . ينهض نور الدين شهيد، ولم يضيع الوقت سدى، بل أعد ستة آلاف رجل، وقطع المسافة التي تبلغ خمساً وعشرين مرحلة، في ثلاثة أيام ، وثلاث ليالي، وكأنه العاصفة. وما أن وصل إلى المدينة المنورة حتى أولم وليمة كبيرة ، ودعي إليها كل مَن في المدينة من الغرباء جنباً إلى جنب مع الأهلين. وأصر على أن يصافح الحاضرين مرحباً، ولكنه لم ير هؤلاء الأشخاص الذين رآهم في رؤياه، فسأل من حوله:

- "أهناك من فقراء المدينة من لم يحضر وليمتي؟".

فأجابوه:

- " إن هناك عشرة رجال، مشغولون بالصوم، والعبادة ، منذ ثلاث سنوات، يعيشون في حجرة بمدرسة باب الشفاء، وهم لا يأكلون ولا يشربون ، بل شغلهم الشاغل هو العبادة.. ". فقال نور الدين شهيد: "أسرعوا ، وأحضروا هؤلاء الرجال إلى هنا، لينالوا صدقاتنا، وليأكلوا طعامنا".

وما أن مثل أمامه هؤلاء الرجال حتى تعرف عليهم، فهاجم مقر إقامتهم، فوجد مئات من الفئوس، والكواريك ، والمقاطف، والمعاول. وما أن أمر بإنزال العقاب بهم فوراً حتى انتفض واحد منهم- وقد

خيل للبعض أنه على وشك الهلاك- وهجم على نور الدين ، وأطلق آخر النيران من بندقيته.

وتحت وطأة ما ذاقوا من عذاب ، وتنكيل ، اعترفوا بكل شيء، وتم القبض على الآخرين الذين كانوا يتظاهرون بجمع القمامة على حميرهم. وتم كشف النقاب عن النفق الذي حفروه، ودخل نور الدين شهيد بنفسه إلى هذا النفق الذي لم يكن قد بقى بين نهايته والقبر النبوي سوى خطوة واحدة . وأُجبر هؤلاء الملاعين على الكلام، فاعترفوا قائلين " .. نحن من رهبان أسبانيا.. منذ أن ظهر دين محمد، ونحن لا يقر لنا قرار، ولا تطمئن لنا نفس، ولا يهدأ لنا بال. لقد أخذ العرب ديارنا ،وفتحوا أقدس بقاعنا.. فكرنا كيف ننتقم منهم، وكنا حسب خطة ، وتدبير الراهب، الأب، سنقوم بتهريب جسد نبيكم محمد إلى روما. وبهذا الشكل كنا سنسترد القدس ، والأندلس، وأفريقيا ، وسوريا ونتوطن بها نحن، أما العرب فليعودوا ثانية إلى صحرائهم".

تابعوا اعترافاتهم قائلين:

" لقد وصلنا خطاب من البابا قبل شهر، وأمرنا أن نستمر في أعمالنا قائلاً لنا في خطابه لو استطعتم أن تحضروا جثمان محمد إلى روما، أو أسبانيا، فإننا سنجعلها هي الكعبة، وسيأتي إليها سنوياً عشرات الألوف من العرب ، والترك، وسنتقاضى من كل قادم مائة قطعة ذهبية،. وسأوليكم على التربة".

هكذا اعترف الملاعين . ثم توجهوا بالرجاء. والتوسل إلى نور الدين شهيد معبرين عن ندمهم ، سائلين إياه... " – هل إذا أسلمنا تطلق سراحنا ؟" ولكن نور الدين لم يتجاوب مع توسلاتهم، ولم يخدعه ندمهم ، كما لم يقتنع برغبتهم في الإسلام حيث إنه يعلم أنهم جبلوا على الكفر، ولقنوا الملعنة والخداع. فأمر بقتلهم جميعاً. ومنذ

ذلك التاريخ ، لم يعد يُسمح لأي يهودي أو نصراني بأن تطأ قــدماه النجسة أرض مكة، والمدينة الطاهرة.

وكان عَلَى "نور الدين" أن يؤمّن الجثمان الطاهر من عاديات الزمن فاستقدم أساتذة العمارة ، وأمهر حرفييها، من الشام إلى مكة، والمدينة المنورة ، وجمع من المدينتين المباركتين ، ومن الشــام ، وحلب آلاف القناطير من النحاس ، والرصاص ، والحديد، والقصدير. في البداية قاموا بهدم القبة التي كانت مشيدة علــى قبــر الرســول الكريم. وتركوا حوله مسافة عشرين ذراعاً. ثم أمر بحفر الخنــادق التي كان عمق كل منها عشرين ذراعاً أيضــاً ، وعرضــها عشــرة أذرع. ثم أقام القضبان على جهاتــه الأربــع، وجعلوهــا كالشــبكة الحديدية، وأصبح المكان المدفون فيه الجسد الطاهر، وكأنه صندوق معلق – ثم جعلوا الشبكة الحديدية، وكأنها حوض ، ثــم تــم صــهر النحاس، والقصدير ، والرصاص، وُصبّ في هذا الحوض حتى تحول إلى كتلة واحدة من البرونز، أو النحاس الأصفر. وهكــذا أصــبحت الجهات الست، لمقام الرسول الأمين من البرونز. وبالإضــافة إلــى ذلك، فقد أمر بحفر خندق آخر يبدأ من الجدار الذي أقامــه الخليفــة عثمان بن عفان، (ﷺ) ويصل حتى باب جبريل. ومن هنــاك حتــى داخل الجامع، وغطى هذا الخندق بقفص، أو شبكة حديدية ، قضبانها في سُمك خصر الإنسان، حتى أصبح وكأنه سد الإسكندر . كما أقــام فوق القبر قبة ذات مقصورة حديدية.

هناك آراء أخرى، تدعى أن الذين قصدوا التعدي على جثمان النبي الأمين هم الرافضة. ولكن هذا الرأي يبتعد عن دائرة الصــواب التاريخي، وليس له ما يؤكده من الأســانيد، والبــراهين، وأن هــذا التدبير من عمل الكفرة الأسبان[1].

(١) الرحلة الحجازية : أولياجلبي ، ص (١٢٢- ١٢٤).

والقصة السابقة وإن كانت تفتقر إلى الأدلة والأسانيد التي أغفلها "أوليا" إلا أن هذا الطرح التاريخي يؤكد حقيقتين:

الأولى : تتمثل في عظمة الرسول ﷺ ومكانته في هذا الوجود، والتي مازالت تؤرق مضاجع الملاحدة، حتى اليوم،وتفضح عبثهم العقدي المادي، وزيف رؤاهم ووجودهم الواهي وكذلك حقدهم الدفين.

والثانية : تكشف ذلك العداء القديم الحديث المعاصر للإسلام ونبيه والمسلمين ومقدساتهم، وليس هذا بغريب علينا وقد أخبر ربنا سبحانه وتعالى نبيه بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى ﴾ [1] ..." وهو عداء يستوجب على الأمة المواجهة الحضارية للدفاع عن نبيهم الكريم وعن إسلامهم وعن قرآنهم المجيد، وذلك بأن تعي هذه الأمة مكانتها التاريخية في هذا الوجود..

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [2]، وتتفهم حقيقة توهج مشهدها الحضاري المتنوع وضرورة استمراريته، وتستوعب ما الذي تعنيه مقدساتنا.. وأهميتها في استمرارية حياتنا ووجودنا كمجتمعات إسلامية سادت بمشاهدها الحضارية عصوراً وأزمانا؟!!.

وللحق لا بد أن نذكر هنا بعضاً من شهادات الصدق التي تحمد لقادتنا من المسلمين الأوفياء اهتمامهم بالمشهد الحضاري المادي لمقدساتنا، لاسيما المسجد النبوي الشريف، يقول الأديب ماهر القادري: " سمعت أن الحكومة السعودية أنفقت على توسعه المسجد النبوي حتى الآن (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) حوالي ٤٠٠ مليون

(١) سورة البقرة : من الآية (١٢٠).
(٢) سورة آل عمران : من الآية (١١٠).

روبية، وتم الانتهاء من التوسعة ناحية باب الرحمة، والتوسعة بكل المقاييس ليست جميلة فقط، بل تستحق المشاهدة..[١].

وعن جماليات هذه المشاهدة في فترة قريبة يقول الرحالة الأردي حافظ لدهيانوي عن المسجد النبوي الشريف وتوسعته (١٤١٠هـ- ١٩٨٩م) .. " إن هذا المسجد نموذج نادر لفن العمارة، وهو أحسن المباني في العصر الحاضر، لقد بنته الحكومة التركية ليس بالمال والذهب ، لكن بالإخلاص والحب والاحترام.. وعلى مر العصور ستظل دقات قلب الأتراك تدق في عمارة المسجد النبوي[٢]" . ثم كان القسم الثاني من عمارة المسجد في عهد الملك سعود والملك فيصل، وها هي ذي المحبة وها هو ذا الإخلاص، كلاهما معاً يشعان من مبنى المسجد النبوي، والفن السابق مع الفن اللاحق ، كلاهما نموذجان رائعان مختلفان لفن العمارة الإسلامية ، وملامح عمارة كل زمان تختلف عن أختها في روعتها وحسنها..[٣]".

فيزدان المسجد / المكان .. جمالاً وبهاء ، ويزداد عزاً و شموخاً وشرفاً وسمواً وسؤددا وكأنني به يخبرنا بل يخبر الدنيا عن هذه المكانة العريقة شعراً على لسان شاعر بلاد الحرمين الدكتور عبد الرحمن العشماوي قائلاً[٤]:

أنا مسجد لله مر بساحتي ∴ دهر طويل وانطوت أعمارُ
كم زارني التاريخ زورة عاشق ∴ ولكم تجمع عندي الأبرار
بالأمس تمتلئ القلوب مهابة ∴ مني وتشرح صدري الأذكار
ويرتل القرآن بين جوانحي ∴ فجوانحي بهدى الكتاب تنار

(١)الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي:د/سمير محمد نوح،ص٣٣٢
(٢) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردني : د / سمير نوح ص ٤٤١ – ٤٤٢ بتصرف .
(٣) المرجع السابق: بالصفحة نفسها.
(٤) ديوان عندما يئن العفاف:شعر د.عبدالرحمن العشماوي ص١٣٦-١٣٧ ط أولى – مكتبة العبيكان – الرياض – السعودية١٤٢٢هـ.

وتـثير إعجـاب السـحاب مـآذني ∴ وتحـــيطني بحنانهـــا الأســـوار
كـم جـاء مـن يـأوي إلى فضمـــه ∴ صـــدري الحنـــون وزالـــت الأخطـــار

ولم يفت " اولياجلبي " في هذه الرحلة أن يؤكد اهتمام الأمـــة بعمارة المسجد النبوي وتواصل الأجيـــال وتعاقبهـــا علـــى عمارتـــه وتوسعته . فنراه يسرد هذا الأثر النبوي – إبان وقوفه أمـــام جـــامع الروضة المطهرة .. مبجلاً مقدراً يعلوه الخشوع والإكبار وتتلبســـه الرهبة ويأخذ به الاعتبار – مؤكداً من خلال هذا المكان المقصد فـــي رحلته كيف اهتم المسلمون على مر العصور والأزمنة بعمـــارة هـــذا المسجد العتيق / المكان المقدس الشريف / الحرم النبوي .. فيقول " وفي تلك الليلة المشهورة ليلة دفن جسد الرسول الطـــاهر عنـــدما صعدت روحه الطاهرة ﷺ إلى الرفيق الأعلى– رأى الصحابة الميامين جميعاً الرسول الأكرم في منامهم وقد خاطبهم جميعاً متفضلاً:

(يا أمتي .. إن كنتم تريدون شفاعتي .. فإني لست في حاجـــة إلى الذهب والفضة أو القباب المجوهرة .. وإن كنتم تريدون رضائي فوسعوا ، وسوروا – (أقيموا الأسوار) حولي لتحافظوا علي ، من المشركين والمنكرين) ولذلك ، فقد صرف الصحابة الميامين النظـــر عن تزيين مقام الرسول بالذهب واللؤلـــؤ ، والجـــواهر ، وصـــرفوا هممهم في توسيع المقام الطاهر ، حيث حول سيدنا عثمان (ﷺ) هذا المسجد الشريف إلى جامع فسيح ، وأقام جداراً للقبلة ، ثـــم أعقبـــه سيدنا علي (كرم الله وجهه) فزاد في اتساعه ، ثم الوليد الأمـــوي (الوليد بن عبد الملك بن مروان)، ومن ســـلاطين مصـــر قايتبـــاي، والغوري ، ومن آل عثمان : سليمان القـــانوني ، ومـــراد الثالـــث ، وأحمد الثالث حيث قام كل منهم بتشييد أثر جديد، أو إضافة فريـــدة حتى تحول الحرم الشريف إلى روضة من رياض الجنة "[1] .

(١) للمزيد حول توسيعات الحرم النبوي وأصحابها يراجع هنا :
– الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ص ١١٧ وما بعدها .

ولا يزال حتى اليوم المشهد الحضاري للمكان الحــرم النبــوي خاصة يشع نوراً وجمــالاً ، وحضــوراً للفنــان المســلم والعمــارة الإسلامية ، وإخلاصاً من أولي الأمر أصحاب الجلالة والســمو مــن ملوك وأمراء المملكة العربية السعودية من آل سعود مما يعــد فــي حسناتهم ومآثرهم الحميدة . ولا يزال حتى اليوم مقصداً لكثير مــن الرحالة بكل ما يحويه هذه المكان من معالم وآثار إسلاميه خالــدة ، وشواهد ومقابر لها مكانتها الخاصة في نفوس الرحالة سرعان مــا يعيشون – عند زيارتها – عبق الزمان وعظمة المكان بما يحمله من رهبة وخشوع وعبرة وعظة وإجلال وتقدير لهذه البقاع المقدسة وما حوته من شخصيات إسلاميه سادت الدنيا يوماً مبشرة بالنور المبين يقرون العدل والمساواة والأمن والأمان للإنسانية جمعاء .

لاسيما وأن هذا المكان / المقصد .. بؤرة الأماني التي عاشــها الرحالة وتحققت على أرض الواقع ، بأن تحولت أمانيه وأحلامه قبل بدء الرحلة إلى حقيقة وواقع وفعل أرهقه ردحاً من الزمن ، وعــانى كثيراً حتى تحقق " حمداً و شكراً لله فقد تحققــت بشــارة الحبيــب . الشفاعة، الزيارة، السياحة، الفاتحة.."[1] وهو ما يؤكد أن " الرحلات من أشد الإنتاج الفكري إرهاقــاً فهــي مشــاهدات مســافر متعــب، ومعلومات جديدة تستدعى مباشرة الكتابة فــي حينهــا وأي تأجيــل للكتابة يفقد الرحال معلومات لا تعوض، مــن هنــا كانــت مرهقــة فتحاشاها الكثيرون ، ومن هنا – أيضاً جاءت مرغوبة يتشوق إلــى متابعتها الكثير من القراء[2] " والشوق كل الشوق إذا كانت الرحلــة

(١) الرحلة الحجازية / أوليا جلبي ص١٣٢ .
(٢) الرحلة النجدية: عاتق بن غيــث الــبلادي ص٦ ط ٢ دار مكــة للطباعة والنشر والتوزيع مكة المكرمة – الســعودية ١٤٠٢هـــ ١٩٨٢م .

إلى ذلك المقصد / المكان الجليل .. الحرم النبوي في مكانته التاريخية الخالدة التي رسم صورتها شعراً صادقاً الشاعر محمود غنيم في قوله[1] :

هنا بني المصلح الأمي جامعة .:. على أساسين من علم وعرفان
ربي العتيق أبا بكر بها وأبا .:. حفص وربي عليآ وابن عفان
طلابها في ربوع العالم انتشروا .:. مبشرين بإصلاح وعمران

ويمكن لنا الآن ، وبعد التحديد السابق لفن الرحلات بوصفه أشد الإنتاج الفكري إرهاقاً لما يتضمنه سرده من مشاهدات مسافر متعب – أن نقف على حدود الراوي / الشخصية الرئيسة في الرحلة من حيث كونه يعايش الفعل ويتواجد فيه بذاته ، متحملاً كل أصداء الفعل بحلوه ومره ، ملتزماً بتقديم مشاهد ومحطات الرحلة وما وقع فيها ، وما تعرض له بنفسه عبر ضمير المتكلم (المفرد أو الجمع) وغير ذلك مما أفضى به مضمون السرد الرحلي عند "أولياجلبي " الراوي / الشخصية : (السرد و المتكلم و التجربة والذاتية) .

فالمتأمل في هذه الرحلة يجد " أولياجلبي " الراوي / الشخصية المحورية الفاعلة في بناء الرحلة وخطابها العام : فلم يستمع " أوليا " إلى راوٍ أو ينصت إلى مشاهدٍ ينقل عنه ، بل رأى هو فعله ، وعاش تجربته ، ووصف ذاته الرحلة فكان مؤلفاً منتجاً لرؤية فنية متكاملة البناء جاءت في إطار فني واحد عبر سياق سردي موحد أبدعه " أوليا جلبي " الذي تسلح بأدوات السارد حينما خط ذلك

(١) ديوان: مع الإسلام والعروبة : للشاعر محمود غنيم ص ١٥-١٦ نقلاً عن: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د/ صابر عبدالدايم ص٢٨٧ ط ٢- دار الشروق – القاهرة – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م٠

التصور السردي بداية من الاستعداد للسفر وبد فعاليات الرحلة ثم الشروع في تحقيقها بالتوديع للأهل والديار ، ومن ثم التوجه إلى الوالي لإتمام مراسم تسيير قافلة الحج التركي والتي كانت تضم حجاج كل دول البلقان واستانبول..

وشاهد ووصف لنا مراسم توديع القافلة وتسليم الجمل الذي يحمل المحمل وكيف أن السلطان بنفسه – وفي معيته الصدر الأعظم وشيخ الإسلام قد حضر هذه المراسم وقد كانت فرقة الموسيقى السلطانية تعزف أمام قصر السلطان قبل موعد قيام القافلة بزمن طويل إيذاناً وإعلاماً للجميع باقتراب موعد قيام القافلة، فيقدم الأمراء والأثرياء وأهل الخير هداياهم لتكون في عهدة أمير القافلة حيث يوصلها إلى سكان مكة، والمدينة ومجاوري الحرمين الشريفين[١].

ويبدأ الراوي السارد " أوليا جلبي " في رصد كل ما يمر به وتقع عينه عليه في وصف دقيق ممتع لرحلته – الرابعة عشرة والأخيرة في حياته – منذ أن قامت من استانبول حتى انتهى من أداء شعائر الحج مستحضراً المنطلق الرئيس الشام = (دمشق) مقدم الفيحاء كما ذكرنا من قبل ، مما يؤكد حضوره في واقع الرحلة . ويكفي دليلاً على حضوره قوله: "وكنت أنا العبد الحقير إلى ربه. قد قمت بتأمين كافة احتياجات الرحلة من مأكل ، ومن مشرب واشتريت خمسة جمال ، وقاعوداً ، وفرساً وأربعة هوادج ، وخيمة كما استأجرت سقاءاً خمسة عبيد. وجمعت الجميع في سرادقي"[٢] والنص

(١) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ص٦٦ .
(٢) الرحلة الحجازية : ص٧٢ .

السابق كما ترى يؤكد أن خطاب الرحلة عند "أولياجلبي": كان واضحاً. ذلك أنه قد انحصر – إلى وقت كبير في كون الرحلة (رغبة) تحركت بداخله كثيراً، واشتاق إلى تحقيقها ومن ثم جسدت هذه الرغبة مضمونين من لحمة الخطاب العام للرحلة / الفعل والانتقال من مشهد إلى مشهد ، ومن مكان إلى آخر ، ومن موقف إلى سرد ، فبرز لنا بعدان شكّلا طابع الرحلة العام هما: الرحلة الرغبة، والرحلة الذات / الشخصية المحورية الفاعلة والتي أشرت إليها قبل قليل .

وختاماً ....

وبعد هذه السياحة الإيمانية في رحاب أحب البقاع إلى الله ورسوله طيبة الطيبة .. بلد الحبيب المصطفى ﷺ وعاصمة الإسلام الأولى مأزر الإيمان ، ومنشأ النبي ﷺ ، ومهاجره ومضجعه ومهوى أفئدة المؤمنين في حياته وبعد انتقاله[1] " . في صحبة الرحالة التركي المسلم " أوليا جلبي " تستطيع تأكيد أن هذه الرحلة قامت على محوريين رئيسيين :

- **المحور الأول: خصوصية الرحلة.**
- **المحور الثاني: غِنى " نص " الرحلة ، وتعدد مشاهده وتنوع أبعاده .**

وهما محوران أقرّا بدورهما في هذه الدراسة حقيقة نقدية لا بد من إدراكها والالتفات إليها في مثل هذه الدراسات الرحلية وهي : خصوصية الجنس الرحلي على الرغم من اشتراكه بين الأجناس السردية الأخرى كالرواية والقصة ويكفيها – أي الرحلة – تميزاً أن فيها فرصة لحك وصقل عقل الرحالة مع عقل الآخرين وذلك حينما ينفتح عليهم إنسانياً .

وإن كانت حقيقة : خصوصية الجنس الرحلي على الرغم من اشتراكه بين الأجناس السردية الأخرى . تعد من نتائج هذا البحث

---

(١) لمزيد من التفصيلات يراجع هنا:
مناخ المدينة المنورة وآثاره الاقتصادية: د/ شحاتة سيد أحمد طلبة صـ٢٤٧ وما بعدها. ط أولى ــ إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

إلى أنني وجدت نتائج أخرى باح بهما المحوران اللذان قامت عليهما هذه الرحلة الإيمانية ، من هذه النتائج :

- يستطيع قارئ الرحلة الحجازية بسهولة أن يتعرف على كاتبها . فشخصية " أولياجلبي " الرحالة التركي جلية واضحة في كل وقفة ، ولقطة ، وجملة مشهدية .. جلية واضحة في كل دمعة إيمانية صادقة ذرفها وهو يعانق هذه الديار الطاهرة .. واضحة شخصيته عبر سطور صفحاتها المتباينة من بدايتها. حتى نهايتها ولا أجد أدل على ذلك من أنك تستحضر الشخصية التركية بكل ملامحها – دون أن تشعر ودون تعمد منك – من الصفحة الأولى لبدء الرحلة. حيث تتقابل وتتصادم بكثير من الألقاب والأسماء التي تستغلق على الكثير منا نحن أبناء العربية. مثل جلالي، جلبي، أوزخان، باشا، أونقباني، الصدر الأعظم، دميرجي، صاغريجي، صوقاغي، وغير ذلك كثير.
- كشفت هذه الرحلة المباركة الكثير والكثير من جوانب شخصية الرحالة التركي "أولياجلبي" ذلك أنك حينما تقرأ هذه الرحلة التي معنا تستشعر أنك أمام عالم خبير بجغرافية الحرمين وهذا البلد الطيب الطاهر، وأنك أمام محب عاشق لديه شوق متأجج، ورغبة عارمة في معرفة كل شيء عن حبيبه.. والوقوف عند كل ما يذكره بعظمة الإسلام ، لاسيما أماكنه المقدسة التي انطلق منها، والتي مازالت شاهد حق على بطولة وإنسانية وشموخ الرعيل الأول من أبطال الإسلام.

ترى ذلك جلياً وهو يقف بمشاهداته الدقيقة على معالم المدينة المنورة وآثارها وقلاعها ومدارسها، وبخاصة زيارته للبقيع

وجبل أحد، ومسجد قباء ، وجامع القبلتين، ومــزار ســيد الشــهداء حمزة رضي الله تعالى عنه، ومن ثم ميدان الشهيد الذي استشهد فيه أكثر من ألف صحابي جليل.

وهذا المزار أعطاه "أولياجلبي" أهمية في وصفه انطلاقاً مــن مكانة الشهيد في الإسلام وأوضح شرط الزيارة ــ إبان ذلك ــ " بــأن تكون وقت السحر، وأن يكون الزائر عاري الرأس، حافي القدمين ، ولا يمكن أن تكون الزيارة ظهراً، حيث إن الأرض، وما عليها مــن رمال وتراب تكون كالنيران الملتهبة. وإذا لبس الزائر في قدميه خفاً أو ما شابه ذلك، عد ذلك مخلاً بحرمة المكان. فكل هــذا الصــحراء مرقد للشهداء . والجميع، صغيراً كان ، أو كبيراً يتحرج من الزيارة بدون وضوء[١].

وإلحاح "أولياجلبي" على هذه الأماكن إنمــا هــو استحضــار لصورة مشرقة في تاريخ الإسلام، صــورة هــؤلاء الــذين قــدموا أرواحهم طواعية لله سبحانه وتعالى لإعلاء كلمة الحــق فــي هــذا الوجود، وفدى لحبيبهم المصطفى ﷺ.. " ومعلوم أن المكان يستحضر تاريخيا لارتباطه بعهد مضى ، أو لكونه علامة في سياق حاضر[٢]" . فالموت- مثلاً- في هذه الأمكنة لا شك أنه يحمــل دلالات إيمانيــة عميقة. فهو ذو روائح طيبة زكية مميزة تنبعث من بــين الصــخور والرمال لتعبق جنبات المكان الطاهر وتعطر الثرى المبارك بحكايــات

(١) الرحلة الحجازية : أوليا جلبي ، ص ١٥٨.
(٢) حركية الإبداع : خالدة ســعيد ، ص ٣٠ ، ط ١ ، دار العــودة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩.

هؤلاء المجاهدين الشهداء الصناديد. وتبعث في المكان روحاً خالدة ترفع فوق هامات الزمن تلك العلامات المميزة التي تخبر الدنيا وتروى على سكانها تاريخ الصحابة المشرق رضي الله تعالى عنهم بما فيه من تضحية ، وفداء ، وعبرة وقدوة ، وضياء وحياة، ومُثل أحالت عتمة الدنيا إلى إشراقات وأنوار ، وفيوضات يحن إليها الكثير من العاشقين المحبين لهذه الديار وعظمتها .. أمثال "أولياجلي"، الذي ألح عليها كثيراً.

* ومما يميز هذه الرحلة أنها جاءت مستقلة في إصدارها ، منفصلة في طبعتها عن رحلات "أولياجلبي". وهي رحلة حملت كثيراً من القيم الروحية مما أضفى عليها جمالية خاصة تمثلت في خلو سرده فيها من الأصداء الصوفية، فلم يتحدث عن هذا المذهب أو ذاك لا من قريب أو من بعيد، ولم يشر إلى قطب أو شيخ أو مريد، أو إلى مظهر من مظاهر طرقهم أو احتفالاتهم.. وهو الذي ولد على أيديهم ونشأ وترعرع في ربوع أفكارهم وعلى موائدهم!!.

وهنا لا بد أن نعترف ونؤكد حقيقة المرجعية الإسلامية الواحدة والمتفردة التي تنطلق منها الحياة في المملكة العربية السعودية (مرجعية الشريعة الإسلامية) فالمعبود واحد لا شريك الله، ومصدر التشريع (الكتاب والسنة). وهو بعد عقدي نتوقف عنده جميعاً والتزم به "أوليا جلبي" في خطابه الرحلى في هذه الرحلة، وقد توقف أمامه الدكتور نصير أحمد ناصر في رحلته "حكاية الجذب والشوق" إذ يقول:

- **" أعجبني في أهل البلاد – يقصد بلاد الحـرمين – محاسـن ثلاث وأغبطهم عليها : فهم موحدون وبعيدون عن الشرك وعبادة الأصنام، وهم متوكلون على الله، وهم يعتبـرون الأولاد والحيـاة أمانة إلهية، لهذا لا يصرخون، ولا يبكون علـى مـن مـات، ولا يتأسفون ، بل يخفضون الرأس أمام المشيئة الإلهية[1] .. . تلـك المشيئة التي يرسخها في نفوسهم ذلك المنهج الإيماني الواحـد.. يتفيئون – حتى اليوم – ظلالـه الوارفـة ، وتعاليمـه الإنسـانية السمحة ، ويلتفون حول رايته الخالدة الخفاقة ، ويتدارسون كـل إبداع إنساني ملتزم هادف يتصل بهذا المنهج من قريـب أو مـن بعيد، من قديم أو من حديث، كاهتمامهم بهذه الدراسـة [2]، التـي اختصت بإبداع ذلكم الرحالة الذي أخلص في حبه لطيبة الطيبـة ،**

(١) الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي: د/ سمير عبدالحميـد نوح ، ص ٤٣٤ .

(٢) حيث احتفى بها المجتمع المدني على وجه الخصوص في ملتقـى العقيق الثقافي في دورته الثالثـة (المدينـة المنـورة فـي أدب الرحلات) والذي عقد في دار الهجرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام في الفترة من (١٠-١٢ جمادي الأولى١٤٣٠هـ/٥-٧مايو ٢٠٠٩ م) لندرة الرحلة التي أقيمت حولها الدراسة ، وهو ما أتاح لها من القبول الإعلامي دون غيرها . إذ أذيع أول لقاء تليفزيـوني حول هذا الموضوع مع باحثه مساء يوم السبت الموافق ٢١ مـن جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩/٥/١٦ م على القنـاة الأولـى السعودية في برنامج (مرافئ) تقديم الإذاعية ميسون أبـو بكـر الساعة ١١,٤٥ مساءً . وكان من ضـيوف البرنـامج : المـؤرخ والباحث المغربي الكبير الدكتور / عبد الهادي التازي ، والـدكتور عبدالله العسيلان رئيس النادي الأدبي بالمدينة المنورة، والـدكتور/ سعد الراشد الأستاذ بجامعة الملك سعود .

وساكنها (ﷺ)، وأهلها ومعالمها، وآثارها، ومساجدها، وقبابها، والكثير من مشاهدها المتنوعة مما توقفت عنده هذه الدراسة المتواضعة .. آملاً وراجياً من الله العلي القدير أن يوفقني في الأيام المقبلة للسير في هذا الطريق النوراني في صحبة كتابات أخرى وأن يهيئ لهذه الصفحات القبول . إنه ولي ذلك ، وولي كل توفيق ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1]

وصلى الله على ساكن "طيبة" سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

د/ علي عبد الوهاب مطاوع

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الأزهر

(١) سورة يونس الآية (١٠)٠

مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.. كلام رب العالمين

ثانياً: المصدر الرئيس للبحث:

١. الرحلة الحجازية: أوليا جلبي. ترجمها عن التركية وقدم لهــا: د/ الصفصافي أحمد مرسي ط دار الآفاق العربية ــ القــاهرة ١٩٩٩م.

ثالثاً: المصادر والمراجع الفرعية:

٢- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د/ صــابر عبدالــدايم يونس ط ٢- دار الشروق القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٣- أدب الرحلات: د/ حسين محمد فهيم – ط المجلــس الــوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ شوال ١٤٠٩هـ يونيو ١٩٨٩م. سلسلة عالم المعرفة (١٣٨).

٤- أدب الرحلة تاريخه وأعلامه: جورج غريب. ط٣ دار الثقافــة بيروت ــ لبنان ١٩٧٩م.

٥- استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة: د/ الصفصافي أحمد المرسي. ط القاهرة ١٩٩٩م٠

٦- باتجاه الشمس: شعر أبوالفرج عبدالرحيم عســيلان. ط أولــى إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ــ السعودية ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٧- بلادنا آثار وتراث: عبدالله الحضبي السبيعي. ط أولى السعودية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م٠

٨- ابن بطوطة ورحلاته: تحقيق ودراسة وتحليل: د/ حسين مؤنس ط دار المعارف ت مصر ١٩٨٠م.

٩- ابن بطوطة ورحلته: شاكر خصباك. ط مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٩٧١م٠

١٠- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً: أحمد ياسين أحمد الخياري. تعليق وإيضاح وإضافة وتخريج: عبيد الله محمد أمين كردي. ط أولى إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١١- تحقيق النضرة بتلخيص معالم دار الهجرة: لأبي بكر المراغي (أبو بكر بن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن أبي الفخر العثماني المراغي الشافعى المتوفي ٨١٦هـ تحقيق د/عبد الله بن عبدالرحيم عسيلان ط أولى ـ الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٢- تخليص الإبريز في تلخيص باريز: رفاعة رافع الطهطاوي ـ ط بولاق ١٢٦٥هـ.

١٣- التراث العربي: عبدالسلام هارون ط دار المعارف مصر ١٩٧٨م.

١٤- تفسير وبيان القرآن مع أسباب النزول للسيوطي : د/ محمد حسن الحمضي ط دار الرشيد ـ دمشق ـ بيروت . بدون تاريخ.

١٥- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي: د/ سمير عبدالحميد نوح ـ الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ السعودية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

١٦- الحباء من العيبة غب زيارتي لطيبة: محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل. (أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري) ط أولى مطبعة سفير ــ الرياض ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٧- حركية الإبداع: خالدة سعيد. ط أولى ــ دار العودة ــ بيروت ١٩٧٩م.

١٨- الدرة الثمينة في أخبار المدينة: لأبي عبد الله محمد بن محمود بن النجار. تحقيق: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري ــ ط أولى ــ دار المؤيد ــ القاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٩- رحلات للديار المباركة (مكة ــ المدينة ــ القدس): أنس القوز ــ ط أولى ــ العبيكان ــ الرياض ــ السعودية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٠- رحلة ابن جبير: لأبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير ــ منشورات دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ لبنان ١٩٨١م٠

٢١- الرحلة النجدية: عاتق بن غيث البلادي. ط ٢ ــ دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ــ مكة المكرمة ــ السعودية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٢٢- سنن ابن ماجة: تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار الفكر ــ بيروت ت بدون تاريخ

٢٣- شرح الأربعين النووية: للإمام ابن دقيق العيد ــ المتوفي سنة ٧٠٢هـ ط أولى ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ السعودية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٢٤- شهور في ديار العرب: مسعود عالم الندوي ــ ترجمة وتعليق د/ سمير عبدالحميد إبراهيم. الناشر مكتبة الملك عبد العزيز ــ

الرياض ــ السعودية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. سلسلة الأعمال المحكمة رقم (٣٧).

٢٥- صحيح مسلم: ط دار البيان العربي ــ القاهرة ١٣٨٣هـ.

٢٦- العصف والريحان: حوارات ومواجهات مع د/ صابر عبدالدايم: إعداد وتقديم د/ حسين على محمد . ط أولى ــ أصوات معاصرة ــ مصر ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

٢٧- العمر والريح: شعر د/ صابر عبد الدايم يونس. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م.

٢٨- عندما يئن العفاف: شعر د/ عبد الرحمن العشماوي ــ ط أولى ــ مكتبة العبيكان ــ الرياض السعودية ١٤٢٢هـ.

٢٩- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: محمد أبىراسي الناصر المعسكري. تقديم: محمد بن عبدالكريم الجزائري. ط المؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر ١٩٩٠م.

٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ــ ط أولى ــ دار الريان للتراث ــ القاهرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٣١- في الأدب الأندلسي: د/ محمد رضوان الداية. ط أولى ــ دار الفكر ــ دمشق ــ سورية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٣٢- في النقد التطبيقي: د/ عماد الدين خليل ــ ط أولى ــ العبيكان ــ الرياض ــ السعودية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٣٣- محمد إقبال.. فكره الديني والفلسفي: محمد العربي بوعزيز ــ ط دار الفكر ــ دمشق ــ سورية ١٩٩٩م.

٣٤- مدخل إلي نظرية القصة: سمي المرزوقي ، وجميل شاكر . ط أولى الدار التونسية للنشر ــ تونس ــ بدون تاريخ.

٣٥- مروج الذهب ومعادن الجواهر : لأبي الحسن المسعودي . ط المطبعة البهية المصرية ١٩٦٤م٠

٣٦- المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ: د/ عاصم حمدان على حمدان ــ ط أولى إصدارات : نادي المدينة المنورة الأدبي ــ السعودية ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٣٧- المدينة المنورة تاريخ ومعالم: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ــ رقم (١٥) ط المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

٣٨- المدينة المنورة في العصر المملوكي دراسة تاريخية: (٦٤٨-٩٢٣-هـ ١٢٥٠-١٥١٧) .. عبد الرحمن مديرس المديرس ط أولى ــ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ــ الرياض السعودية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م٠

٣٩- المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري: أحمد سعيدين سلم . ط أولى ــ دار المنار ــ القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٤٠- مناخ المدينة المنورة وآثاره الاقتصادية: د/ شحاتة سيد أحمد طلبة. ط أولى ــ إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٤١- نحن والثقافة.. تأملات في مجالنا الثقافي ومستقبلياته: زكي الميلاد. ط أولى مؤسسة اليمامة الصحفية ــ الرياض السعودية ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م كتاب الرياض ــ رقم(١٦٤)٠

٤٢- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار: للحسن الورثلاني. ـ تقديم: محمد بن أبي شنب ـ ط مطبعة بييرفونتانة الشرقية ـ الجزائر ١٩٠٨م.

٤٣- هتاف من باب السلام: د/ عاصم حمدان على حمدان ـ ط أولى ـ مكتبة دار جدة ـ جدة ـ السعودية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

رابعاً: الدوريات والمجلات:

١- علامات في النقد الأدبي: الجزء التاسع ـ المجلد الثالث ـ عدد: ربيع الآخر ١٤١٤هـ سبتمبر ١٩٩٣م النادي الأدبي الثقافي بجدة السعودية.

٢- مجلة الآطام: العدد (الواحد والثلاثون) السنة : الحادية عشرة ـ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ إبريل ٢٠٠٨م إصدار النادي الأدبي بالمدينة المنورة.

٣- مجلة الأدب الإسلامي: العدد (٤٦) ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٤- مجلة الأدب الإسلامي: العدد (٥٣) ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

٥- مجلة الحج والعمرة: العدد (السابع) رمضان ١٤٢٣هـ نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٢م.

٦- مجلة العرب: مجلد (٤,٣) السنة (٤٥) عدد: رمضان وشوال ١٤٣٠هـ ـ سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٩م.

٧- مجلة كلية اللغات والترجمة: جامعة الأزهر ـ مصر ـ العدد التاسع ١٤٠٩- ١٩٨٩م.

تم بحمد الله وعونه،،